الجزء ١٠ — المجلد ١٠



(دمشق) : تشرين اول سنة ١٩٣٠ م الموافق جمادى الاولى والثانية سنة ١٣٤٩ هـ ١١٨

مجموع نادر

في خزانة كتب احمد باشا الجزار بمدرسته المسماة « نور احمدية » في مسجده المعروف بمدينة عكا مجموع قديم كُتب باول صفحة منه بخطٍ غير خط ناسخه (تخريجات ابن ابي الدنيا . »

وتحت ذلك عبارة نصها « مجموع ما في هذا المجلد الشريف » ثم اسماء الرسائل الآتية :

١ — تخريجات اهل الحديث تأليف ابي بكر عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان القرشي المعروف بابن ابي الدنيا وهو من ورقة ١ الى ١٠

٢ — وكتاب الاحاديث الاربعين له ايضاً وهو من ورقة ١١ الى ١٨

٣ — وكتاب فضائل الشام وفضل دمشق لابي الحسن علي بن محمد بن شجاع الربعي المالكي وهو من ورقة ١٩ الى ٣٦

٤ — وكتاب فضائل البيت المقدس للامام ابي بكر محمد بن احمد الواسطي وهو من ورقة ٣٧ الى ٧١

٥ — وكتاب اخبار مصر لابي عمرو يوسف بن يعقوب الكندي المصري جمعه باسم كافور الإخشيدي وهو من ورقة ٧٢ الى ٧٩

٦ — وكتاب قضاء الحوائج من تخريجات ابن ابي الدنيا وهو من ورقة ٨٠ — ٩٢

٧ — وكتاب من عاش بعد الموت له ايضاً وهو من ورقة ٩٣ — ١١٦

٨ — وكتاب الأولياء له 〃 〃 ١١٧ — ١٣٤

٩ — وكتاب الغيبة والنميمة · له	وهو من ورقة	١٣٥ = ١٤٦
١٠ — « حسن الظن بالله · له	« «	١٤٧ = ١٦٤
١١ — « المنام له	« «	١٦٥ = ٢٠٤
١٢ — « التوكل على الله له	« «	٢٠٥ = ٢١٢
١٣ — « مكارم الأخلاق له	« «	٢١٣ = ٢٦٤

وكتاب الحلم له وهو من ورقة ٢٦٥ الى ٢٧٦ وهي آخر الكتاب

وفي آخر الرسالة الاولى سماع جاء فيه :

سمع جميع الجزء على الشيخ الامام الثقة ابي الفضل اسماعيل بن علي بن ابراهيم الجبري بحق سماعه من الشيخ ابي البركات هبة الله بن محمد بن علي البخاري رحمه الله — الشيخ تقي الدين ابوالحسين احمد بن حمزة بن علي الشافعي والفقيه عبدالسلام بن ابي بكر بن احمد الشافعي والفقيه بدل بن ابي المعمر التبريزي والشيخ عبدالرحمن بن طالب بقراءة مثبت السماع الحسين ابن موسى بن الحسين الخويي في كلاسة جامع دمشق حماها الله تعالى يوم الاربعاء عاشر ربيع الاول سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة والله اعلم · »

وتحت ذلك إجازة هذه عبارتها :

صحيح ذلك وقد أجزت لهم جميع مسموعاتي وأحاديثي على الشرائط المعتبرة عند اهل الحديث رضي الله عنهم · وكتب اسمعيل بن علي بن ابراهيم الجبرري في التاريخ المذكور · « والجبرري هنا بزيادة راء عما في الرواية المذكورة في اول الرسالة وفي السماع المحرر اعلاه وكذلك في السماع المحرر أدناه ·

ويأتي بعد ذلك إجازة أخرى وهي :

سمع مني ولدي الأعز ابو المعالي محمد نفعه الله بالعلم ورفعه بالحلم هذه الأحاديث التي قرأتها على الشيخ الاجل ابي الفضل اسماعيل بن علي بن ابراهيم الجبرري في المسجد الجامع بدمشق المكتوبة قبل خطي بقراءتي عليه وأذنت له ان يرويهاعني بشرطه وذلك يوم الاحد سابع ذي القعدة سنة احدى وستمائة وكتب والده الفقير الى رحمة الله غفرانه الحسين بن موسى بن الحسين الخويي بخطه ·

وفي الصفحة التي تلي تلك الاجازة ثبت شيوخ يغلب على الظن انه لصاحب الكتاب وهذا نصه :

بسم الله الرحمن الرحيم . حدثني الشيخ الامام عبدالقادر بن عبد الله الرهاوي بمدينة حران بمسجد الصخر في منتصف شهر شعبان سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة وهو اول حديث سمعته منه قال حدثني الشيخ الامام الحافظ ابوطاهر احمد بن محمد بن احمد بن ابراهيم السلفي في منزله بثغر الاسكندرية وهو اول حديث سمعته منه . قال حدثنا ابو محمد جعفر بن احمد بن الحسين السراج اللغوي ببغداذ وهو اول حديث سمعته منه قال حدثني ابونصر عبد الله بن سعد بن حاتم السجزي الحافظ بمكة وهو اول حديث سمعته منه قال اخبرنا ابو يعلى حمزة بن عبد العزيز المهلبي بنيسابور وهو اول حديث سمعته منه قال حدثنا ابوحامد احمد بن محمد بن يحيى وهو اول حديث سمعته منه قال حدثنا عبد الرحمن بن بشر بن الحكم وهو اول حديث سمعته منه قال حدثنا سفيان بن عيينة وهو اول حديث سمعته منه عن عمرو بن دينار عن ابي قابوس مولى لعبد الله بن عمرو ابن العاص عن عبد الله بن عمرو بن العاص ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : الراحمون يرحمهم الله « ارحموا من في الارض يرحمكم من في السماء . »

قال الشيخ عبد القادر قال شيخنا الحافظ السلفي قال لي ابن السراج لما دخلت مصر حضرت مجلس ابي اسحق الحبال فأخرج لي هذا الحديث وكان يرويه عن ابي نصر فقلت هو سماعي منه فقال اقرؤه(١) فتسمعه انت مني واسمعه انا منك فقرأه .

وجاء في آخر رسائل فضائل الشام سماع هذه عبارته :

سمع جميع فضائل الشام على الشيخ الامام العالم الحافظ الثقة بهاء الدين صدر الحفاظ ناصر(٢) محدث الشام جمال الاسلام ابي محمد القاسم ولد(٣) الامام العالم الحافظ ثقة الدين شيخ الاسلام ابي القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله بن الحسين الشافعي رضي الله

(١) في الاصل افراوه (٢) لعلها سقطت كلمة الدين بعد ناصر . (٣) في الاصل والد وهو سبق قلم فالقاسم هو ابن علي بن الحسين وهو المشهور بابن عساكر والظاهر انهما لم يكونا يضعان هذه النسبة في تواقيعهما او انهما لم يعرفا بها الا بعد موتهما .

عنه وقدس روح والده بحق سماعه من الشيخ ابي الفضائل ناصر بن محمود بقراءة صاحب النسخة وكانبها الشيخ الفقيه الامام ابي المحاسن الحسين بن موسى بن الحسين الخويي — الشيخ الامام ابوجعفر احمد بن علي بن ابي بكر بن اسماعيل القرطبي وابنه ابوالحسن محمد والفقيه ابوالحسن علي بن محمد بن علي بن جميل المعافري المالقي والامام ابوالفرج ابراهيم بن يوسف ابن محمد المعافري البوني والفقيهان ابو علي الحسن بن علي بن عبد الوارث وابو بكر بن حرز الله بن حجاج التونسيان وابو القاسم محمود بن محمد والشيخ ابو الفضل احمد بن محمد ابن علي بن ابي عقيل وزكريا بن عثمان بن خالويه الموقاني وابوعبدالله محمد بن عبدالوهاب ابن مان (هكذا) وابراهيم وبركات بن ابراهيم الحسوعي (لعله الخشوعي) وابو العساكر المطهر بن محمد بن المطهر وابو . . العباس بن احمد بن ابراهيم بن ابي العلاء الأزدي واحمد ابن محمد بن احمد الكناني ومحمود بن احمد بن دارا ومحمد بن ميمون بن مالك وعمر بن احمد ابن محمد وابو يعلى حمزة بن ابي الفضل بن ابي الفوارس وعمر بن محمد بن ابي الفضل العربي . . . . ابن يوسف ومثبت الاسماء بدل بن ابي المعمر بن اسماعيل بن ابي خضر التبريزي وآخرون . . . وذلك في مجلسين آخرهما يوم الاثنين الرابع والعشرين من المحرم سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة .

وتحت ذلك إجازة الشيخ المسمع وهي :

هذا صحيح وكتب القاسم بن علي بن الحسن بن هبة الله الشافعي [1] .

(١) ترجم محمد بن طولون الحنفي الصالحي المتوفى سنة ٩٥٣ هـ ١٥٤٦ م لقاسم المذكور في كتاب ذخائر القصر في تراجم نبلاء العصر وهو من مخطوطات الخزانة التيمورية في القاهرة . ولم يفرد له ترجمة خاصة بل ذكره استطراداً في ترجمة محمد بن نافع بن عبد الله العفيفي الشافعي لان المترجم كان سأله عن تراجم بني عساكر فكتب له تراجم احد عشر شيخاً منهم ثم ساق هذه التراجم في تلك الترجمة بهذه المناسبة فقال عن القاسم ما نصه :

« ومنهم البهاء بن عساكر وهو القاسم بن الحافظ الاكبر ابي القاسم علي بن الحسن ابن هبة الله بن عبدالله بن الحسين الدمشقي الشافعي الحافظ بهاءالدين ابومحمد بن عساكر كان قد شارك اباه في اكثر شيوخه سماعاً وإجازة وصنف عدة مصنفات وخلف اباه

وجاء في الصفحة الاولى من رسالة فضائل البيت المقدّس :

« ولي اجازة لفضائل البيت المقدس عن الامام الحافظ بهاء الدين ثقة الاسلام ابي محمد القاسم بن علي بن الحسن بن هبة الله بن عبدالله بن الحسين الشافعي الدمشقي رضي الله عنه قال أخبرنا الشيخ الامام ابو القاسم نصر بن احمد بن مقاتل بن مطكود (؟) السوسي قراءة عليه في الثامن والعشرين من رجب سنة احدى واربعين وخمسمائة قال أخبرنا الشيخ ابو اسحق ابراهيم بن يونس المصري سنة ثنتين وثمانين واربعمائة قال اخبرنا الشيخ ابو محمد عبدالعزيز بن احمد بن عمر النصيبيني عن الخطيب ابي بكر محمد بن احمد الواسطي المصنف رحمهم الله[1] .

وجاء في آخر كتاب المنام ما يلي :

سمع مني ولدي الأعزّ ابو المعالي محمد أعزّه الله وطوّل عمره كتاب المنام لابن ابي الدنيا بقراءتي عليه وأجزت له روايته عني بشرطه وكتب والده الراجي عفو ربه

في القيام بهذا الشأن بدمشق واظهار كتب ابيه واسماعها بالجامع ودار الحديث النورية وبيّض تاريخ والده لدمشق بخطه في ثمانين مجلداً ورحل الى مصر وأسمع بها وكانت وفاته يوم الخميس ثامن صفر سنة ستمائة ودُفن بعد العصر على ابيه بمقبرة باب الصغير خارج الحظيرة التي فيها قبر معاوية وغيره من الصحابة رضي الله عنهم اجمعين من جهة الشرق قال ابوشامة ولي منه اجازة وقد اقتصر تاريخ دمشق في أصغر واكبر وكلاهما تام فالاول في خمسة عشر مجلداً والاصغر في خمسة مجلدات اه . قلنا وللقاسم المذكور كتاب الجامع المستقصى في فضل المسجد الاقصى ومنه الجزء ١٢و١٣و١٤و١٥ في الخزانة التيمورية بالقاهرة وعندي نسخة منقولة عنها بالتصوير الشمسي تفضل باهدائها لي صاحبها العلامة احمد تيمور باشا .

(١) نظن ان هذه الرسالة هي الوحيدة من نوعها فاننا لم نقرأ عن وجودها في دار من دور الكتب العامة . وقد رأينا القاسم بن عساكر ينقل في جامعه المستقصى عن ابي القاسم السوسي عن ابراهيم بن يونس عن عبد العزيز النصيبيني عن ابي بكر الواسطي المذكور الذي لم نطلع له على ترجمة .

تعالى الحسين بن موسى بن الحسين الخويي في الخامس من شهر ربيع الاول سنة ثلاث وستمائة ·

« صاحب الرسائل »

وقد علمنا من إجازة القاسم بن علي بن الحسن بن هبة الله الشافعي ان صاحب هذه الرسالة وناسخها هو الحسين بن موسى بن الحسين الخويي ·

وتمتاز هذه الرسائل عن الكتب الأخرى بالدقة والتثبت ذلك لان ناسخها لم ينقلها عن الكتب وانما نقلها من أفواه الثقات من شيوخه واليك مثالاً من طريقته قال في مطلع الرسالة الاولى : بسم الله الرحمن الرحيم · حدثنا الامام الثقة الامين ابو الفضل اسماعيل بن علي بن ابراهيم الجبري الدمشقي بها في كلاسة الجامع قراءة عليه يوم الاربعاء عاشر شهر ربيع الاول سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة قال أخبرنا الشيخ ابو البركات هبة الله ابن محمد بن علي البخاري في ربيع الآخر سنة ست عشرة وخمسمائة قال اخبرنا القاضي ابو الطيب طاهر بن عبدالله بن طاهر الطبري قراءة عليه وانا اسمع في يوم السبت رابع شعبان من سنة سبع واربعين واربعمائة قال اخبرنا ابو احمد محمد بن احمد بن الغطريف بجرجان في سنة احدى وسبعين وثلاثمائة قال اخبرنا الامام ابو العباس احمد بن عثمان بن شريح ، اخبرنا ابو يحيى الضرير بن محمد بن سويد بن عمر العطار اخبرنا عبيدة بن حميد اخبرنا الأعمش عن حبيب بن ابي ثابت عن سعيد بن جبير عن ابن عباس عن علي بن ابي طالب عن النبي صلى الله عليه وسلم ·

فهذه الرسالة الاولى التي قيل عنها انها لابن ابي الدنيا والرسالة الثانية المسماة «الاحاديث الاربعين » والتي يبتدئ سندها بالشيخ الامام مجد الدين ابى الفرج يحيى بن ابي الرجاء محمود بن سعد بن احمد بن محمود بن احمد بن محمود الثقفي الاصفهاني في سنة ٥٨٣ بدمشق وينتهي الى عبد الله بن مسعود لاذكر فيها لابن ابي الدنيا حتى ننسبها اليه ·

ولهذه الرسائل امتياز آخر وهي انها كتبت في سنة ٥٨٣ هـ ١١٨٣ م والحروب الصليبية مستعرة النيران في ديار الشام بل في بلاد الاسلام وحملات الغربيين تقض المضاجع من الشرقيين ·

فانصراف العلماء الى الدرس والأخذ في مسجد بني أمية بدمشق وفي غيرها من

المدن والأمصار يدلنا على ان المسلمين كانوا يعملون لدينهم ودنياهم وسط تلك الخطوب والنكبات التي كانت تكتنفهم عن أيمانهم وشمائلهم ولم يكن كل ذلك ليصرفهم عن طلب العلم وبحث الحقائق ·

واذا كان في هذا الأمر ما يؤسف له فهو إهمال المؤرخين ترجمة العلماء الأعلام المعاصرين الذين جاء ذكرهم في السماعات المتقدمة · ولعل ذلك نشأ عن الحالة الحربية التي كانت البلاد تتخبط في ديجورها وتعاني آلامها وشرورها ·

عبد الله مخلص

عضو المجمع العلمي العربي

المحاضرة التاسعة عشرة

احساس المتنبي (١)

- ١١ -

عرفنا ناحيةً من اخلاق المتنبي ، فلنجتهد في معرفة ناحية من نواحي إحساسه وعواطفه ، والإحساس (٢) انما هو القوة التي تميزنا من بين غيرنا من الناس ، وتطبعنا بطابعنا الخاص ، فهو الذي تحدد خصائصه طبيعة دخيلتنا اي طبيعة شخصيتنا ودرجة هذه الشخصية ، فالمدارك العقلية لا يختلف بعضها عن بعض الا قليلاً ، واختلافها هذا لايكون الا من حيث الدرجة فقط ، اي من حيث قوة نفوذها وضعف هذا النفوذ ، أو من حيث سرعة تغلغلها في بواطن الامور ، وابطاؤها في هذا التغلغل ، ولكن هذه المدارك كلها قادرة من حيث تركيب جواهرها على فهم الحقائق ، من اجل هذا اننا لانجد الا علماً واحداً في الهندسة او في الطبيعيات مثلاً ، وكذلك ارادتنا فانها لايختلف بعضها عن بعض الا من حيث قوتها او ضعفها ، اما حواسنا وعواطفنا فانها على خلاف مداركنا وعلى خلاف ارادتنا ، فهي يختلف بعضها عن بعض من حيث طبائعها فلالذّاتنا ولا آلامنا واحدة في كل رجل منا ، فالامور التي نلاقي فيها لذتنا قد لا يلاقي فيها غيرنا الا الألم ، وما أصدق ما قاله المتنبي في هذا المعنى :

سبحان خالق نفسي كيف لذتها فيما النفوس تراه غاية الألم

وما أصدقه في هذا البيت :

ما ذا لقيت من الدنيا وأعجبه اني بما انا شاكٍ منه محسود

فقد يحسدنا الناس على امور يظنونها برداً وسلاماً ، ونحن لا نجدها الا عنتاً وتعباً ، فالأذواق تختلف باختلاف الناس ، هذا الامر يبكينا وهو نفسه يضحك غيرنا ، وذاك

---

(١) سلسلة المحاضرات التي القاها في كلية الآداب في دمشق الاستاذ شفيق بك جبري عضو المجمع العلمي العربي ومدير الكلية المذكورة .

(٢) رأي الاستاذ برونتير .

ينفعنا وهو ذاته يضر سوانا ، وقد يكون لون من الألوان زاهياً في نظرنا وكامداً في نظر غيرنا ، وقد يستطيب الأنف رائحة من الروائح و يستكرهها أنف آخر .

فالذي يستنبط من هذا الكلام ان ما يميز بعضنا عن بعض انما هو الإحساس ، فالحس في الشعر هو القوة المميزة ، فلا بد للشاعر من ان تهيجه الهوائج ، ولا بد له من ان يجد لهذه الهوائج صوراً مناسبة لها ، فالشاعر يختلف عن الشاعر من حيث طبيعة الحس والخيال ، فقد تأخذ العيون مشاهد شتى فيها كثير من الألوان والأصوات والروائح اي فيها كثير مما يهيج الحواس ويثير العواطف ، فيعجز احدنا عن تصوير شيء من هذه المشاهد كلها لان حواسّه لاتنبسط الى لون من ألوانها او الى صوت من أصواتها او الى رائحة من روائحها ، ولان نفسه لا يستفزها مشهد منها ، فاذا الشاعر لم يكن له روح يعمل فيها مختلف المشاهد ، ويترك في باطنها آثاراً ورسوماً ، ولم يكن له خيال يخلع على هذه الرسوم والآثار مايناسبها من ضروب الخلع ، فعبثاً يتطاول الشعر ، وعبثاً يجهد قريحته ، ولذلك قالوا : يولد المرء شاعراً ، اي يولد قوي الحس او ضعيفه ، غليظه او رقيقه ، وعلى حسب طبيعة هذا الحس يكون تبريزه في ميدان الشعر ، وتحليقه في سمائه التي لا تطاولها سماء .

هل كان المتنبي قوي الإحساس ، هل كانت المشاهد تفعل فيه فعلتها ، هل كان عصبي المزاج يحركه أقل شيء وما هي طبيعة إحساسه وعاطفته ؟

لنبحث عن إحساس المتنبي في بعض مواطن من المواطن التي تظهر فيها آثار الإحساس والعاطفة ، لنبحث عن شيء من هذا في مقامات النسيب والغضب والحزن .

هل عشق المتنبي في حياته او هل كان صادق العشق في نسيبه ، اننا نجد في شعره كثيراً من الغزل ، فلا تكاد قصيدة من قصائده تخلو من هذا الغزل ، ولكن الذي أراه ان النسيب كان مذهباً من مذاهب الشعراء ، يصدّرون به مطالع قصائدهم وصولاً الى مدح الممدوح ، فلست أرى في أضعاف هذا النسيب آثار نفس ذللها الهوى .

اذا كان مدح فالنسيب المقدّم أكلُّ فصيح قال شعراً متيّم

ولست أرى في هذه لأضعاف هائجة من هوائج النفس ، وانما هذا النسيب عبارة عن تشبيهات او صفات ضاع رونقها لكثرة تكرارها ، فاذا لم يعشق الشاعر حقيقة كان

نسيبه مضجراً مقلقاً ، وما مثله في ذلك الا كمثل النوّاحات اللواتي ينحن على ميت بشيء من المال يأخذنه على نواحهن ، فان اغماءة لام التي تفقد طفلها لا يكاد يوازنها كل الدموع الكاذبة التي تذرفها النواحات ، وكذلك العشق فان صفرة لون العاشق أبلغ من التشبيهات والصفات الرائعة التي يلجأ اليها غير العاشق في شعره ·

فالمتنبيّ عمد الى النسيب في شعره ولكني لا أبالغ اذا قلت ان في هذا النسيب اثر ضعة لا تدل على شيء من حقيقة الهوى ، ولكنه لا يعترف بهذا فهو يقول :

وما أنا الا عاشق كل عاشق أعق خليليه الصفيين لائمه

ثم يرجع فيقول :

وما كنت ممن يدخل العشق قلبه ولكن من يبصر جفونك يعشق

فانظر في هذا كله ، ففي احدى قصائده في سيف الدولة واولها :

لعينيك ما يلقى الفؤاد وما لقي وللحب ما لم يبق مني وما بقي

وصف ابو الطيب بكاءه فقال :

وبين الرضى والسخط والقرب والنوى مجال لدمع المقلة المترقرق

واكد هذا البكاء :

عشية يعدونا عن النظر البكا وعن لذة التوديع خوف التفرق

ثم انصرف بعد البكاء الى التوديع فقال :

نودعهم والبين فينا كأنه قنا ابن ابي الهيجاء في قلب فيلق

وانا لنجده يبكي خوف التفرق ، وانا لنجده يودع اذ ينصرف فجأة الى قنا ابن ابي الهيجاء ، اي الى الممدوح نفسه وهو سيف الدولة ، فنسي مسح دموعه ، ونسي حبيبه ، فلم يخطر بباله الا سيف الدولة ، قد يكون في هذا كله براعة في الذي يسمونه حسن التخلص ، وقد يكون شيء من البلاغة في هذا التخلص الحسن ، ولكني لا أجد في هذا النسيب شيئاً من الحقيقة ، فلست أرى خيال روح يذللها الهوى ، وانما ارى فناً يستخدمه صاحبه في تمهيد السبيل الى المدح ، والهوى الصحيح لا كلفة فيه فاذا ظهرت الكلفة عليه ذهب أثره ·

والأمثلة من هذا الشكل كثيرة في شعره واليكم مثلاً آخر :

في قصيدته في سيف الدولة التي يقول في اولها :

ليالي َّ بعد الظاعنين شكول طوال وليل العاشقين طويل

وصف احتماله للنائبات من بُعد أحبته وطلب الى النسيم ان يحمل اليه روائح هؤلاء الأحبة :

اذا كان شمُّ الرَّوح ادنى اليكم فلا برحتني روضة وقبول

وخاطب الحبيب فقال :

لقيت بدرب القلة الفجر لقيةً شفت كبدي والليل فيه قتيل

ويوماً كأن الحسن فيه علامة بعثتِ بها والشمس منك رسول

وانه ليسترسل الى هذا كله اذ يذكر في الحال ان سيف الدولة ينتظر مدحه فيفتش عن البيت الذي يصل به الى سيف الدولة :

وما قبل سيف الدولة اثار عاشق ولا طلبت عند الظلام ذحول

نعم الأمثلة من هذا القبيل كثيرة فلست أعتقد ان نسيب المتنبي في مطالع قصائده يفصح عن عشق حقيقي ، وماهذا الغزل الا ضرب من التقليد ، فقد كان هذا هو أسلوب الشعراء في أماديحهم ، يتغزلون ثم يتخلصون من التغزل الى المديح ، والنفس العاشقة تنصرف عن كل شيء في جوانبها ، ولا تفكر الا في الذي تحبه ، فلا سيف الدولة يصرفها عنه ، ولا غير سيف الدولة ، فالعاطفة في هذا النسيب بعيدة عن ان تكون صادقة فضلاً عن انه قد يميل في تصوير بعض نحوله الى شيء من المبالغة التي لايحمد أثرها :

ولو قلم ألقيتُ في شق رأسه من السقم ماغيَّرت من خط كاتب

هذا هو نسيب المتنبيء ، فالتقليد ظاهرة آثاره عليه ، وقد يخرج في هذا النسيب من المقدار :

كأن الجفون على مقلتي ثياب شققن على ثاكل

كل هذا لايخلو من شيء من المبالغة والعاطفة لايحسن تأثيرها الا اذا كانت طبيعية . على انه لايخلو في بعض الاحيان من الاعتدال المقبول :

واني لأعشق من أجلكم نحولي وكل امريء ناحل

ولو زلتم ثم لم ابككم بكيت على حبيَ الزائل

هذا هو شيء من طبيعة حسه وعاطفته في النسيب ، ولكن المواطن التي تظهر فيها شدة هذا الحس انما هي مواطن الغضب ، سواء أكان غضبه على الأقدار ام كان غضبه على الذين يشمتون بموت جدته ، وسواء أغضب على الذين مدحهم ولم يعطوه ما تستحقه أماديحه أم غضب على الذين اساؤا اليه ، وكذبوا عليه .

اذا غضب المتنبي على احد من الناس اهتزت أعصابه كل الاهتزاز فلا يكاد يستطيع ان يسكنها ، ولا يجد اشباهاً للرجال الذين يحنق عليهم الا الحيوانات :

وانما نحن في جيل سواسية شر على الحر من سقم على بدن
حولي بكل مكان منهم خلق تخطي اذا جئت في استفهامها بمن

ولا يبالي بعد هذا التعميم بان يخصص الحيوانات التي يشبههم بها :

فقر الجهول الى قلب بلا ادب فقر الحمار بلا رأس الى رسن

على ان هذا الهياج الذي هاجه في هذا المقام قد لا يكون شيئاً قياساً الى الثورة التي ثارها في هجاء كافور ، فقد كان مضطرباً كل الاضطراب ، مغتاظاً كل الاغتياظ ، فتارة كان غضبه ممزوجاً بشيء من الهزء :

فان كنت لا خيراً أفدت فانني أفدت بلحظي مشفريك الملاهيا
ومثلك يؤتى من بلاد بعيدة ليضحك ربات الحداد البواكيا

ومرة كان مختلطاً بشيء من الشتم :

لا تشتر العبد الا والعصا معه ان العبيد لأنجاس مناكيد

وحيناً كان يلجأ في غضبه الى شيء من الايلام :

جوعان يأكل من زادي ويمسكني لكي يقال عظيم القدر مقصود

ومنه قوله :

من اية الطرق يأتي نحوك الكرم اين المحاجم يا كافور والجلم

واذا قابلنا بين اهاجيه في كافور وبين تعريضه بسيف الدولة وجدنا ان ابا الطيب على شدة اهتزاز اعصابه في ساعات الغيظ يستطيع في بعض الأحوال ان يضبط نفسه ، فلم يغضب على سيف الدولة غضبه على كافور ، وانما ملك من حركته وضبط من نفسه فجعل لكل مقام من الغضب مقالا ، فهو لا يشبه هؤلاء الشتامين الطعانين الذين اذا نقموا على احد

من خاصة الناس نقموا عليه نقمتهم على احد من عامة القوم ، واذا شتموا كبير قوم شتموه كما يشتمون صغير القوم حتى يضيع اثر كلامهم فلا تبقى له قيمة .

فالمتنبي كان في غضبه يشتم ، ولكنه كان يجعل لكل مقام من مقامات الغضب مقالاً فما رمى سيف الدولة بمثل مارمى به كافوراً ، لقد كان في تعريضه به شيء من الايلام ولم يكن فيه شيء من الهزء اوالشتم اوالفحش .

فلننظر الى طبيعة عاطفته في مراثيه ، فان المراثي تظهر فيها عاطفة الشاعر اكثر من غيرها من الشعر ، لان الشاعر يقولها وعينه تدمع ، وقلبه يحزن ، قال الاصمعي لاعرابي : مابال المراثي أشرف اشعاركم ، فقال : لانا نقولها وقلوبنا محترقة ، لقد صدق الاعرابي في كلامه ، فالمراثي هي الشعر الذي نظهر عليه آثار حرقة القلوب . وما أبرد هذه المراثي التي يقولها اصحابها فلا نجد فيها اثراً لهذه الحرقة ، وانما نرى فيها صوراً اذا انتزعناها من اماكنها والصقناها بمرثي آخر فلا نكاد نجد فرقاً بين الرجلين المرثيين ، فما أشبه هذه الطبقة من الشعراء بالنواحات اللواتي يبكين ولا جرح في قلوبهن ، اننا لانرى في أمثال هذه المراثي الا استفظاع الخطب ، والنقمة على الأقدار وما شابه هذه الأساليب المتكررة ، فالرجل المرثي ينبغي ان تكون له صورة في المرثية تليق به ولاتليق بغيره من الموتى ، واما اذا كانت هذه الصورة تصلح لكل واحد يموت ، ولكل واحد يبكى عليه ، فلاقيمة لها ولاقيمة لقائلها ، فلننظر الى المتنبي في مراثيه ، هل نجد فيها عاطفة تختلف عن عاطفته في النسيب .

أقرب الذين رثاهم اليه جدته ، فقد كان شعره في مرثيته في جدته شعر الألم الحقيقي الذي يشتمل على الحزن من كل وجوهه ، لقد بكى على جدته بكاء شديداً فقد كانت من النساء الصالحات ، فلانكاد نقرأ بيتاً من هذه القصيدة الا ونجد فيه اثراً لعاطفة المتنبي الصادقة في محبة جدته التي كانت تحبه حباً جما :

لك الله من مفجوعة بحبيبها قتيلة شوق غير ملحقها وصما

فكان من الطبيعي ان يبادلها المتنبي في هذا الحب الشريف :

أحن الى الكأس التي شربت بها واهوى لمثواها التراب وما ضما

فليس في عاطفته هذه شيء من الصنعة والكلفة ، انه أحب جدته حباً شديداً

فظهرت حرقة قلبه ولوعة كبده ومهما حاول ان يتجلد :

ألا لا أري الأحداث مدحاً ولا ذمّا فما بطشها جهلاً ولا كفها حِلما

ومهما حاول ان يتعزّى بشيء من الفلسفة :

الى مثل ما كان الفتى مَرجع الفتى يعود كما أبدي ويُكري كما أرمي

فقد أبى قلبه الا ان يفيض حزناً بعد هذا التجلد وهذا العزاء :

حرام على قلبي السرور فانني أعد الذي ماتت به بعدها سما

وان جدة تموت سروراً بكتاب اتاها من حفيدها :

أتاها كتابي بعد يأس وترحة فماتت سروراً بي فمت بها غما

لا يكثر على المتنبي ان يكون بعد موتها كالاعمى لانه لا يراها :

وما انسدّت الدنيا عليّ لضيقها ولكن طرفاً لا أراك به أعمى

ولا يكثر عليه ان يأسف على غيبته عند وفاتها :

فوا أسفاً ألاّ اكبّ مقبّلا لرأسك والصدر اللذي مُلئا حزما

ولا يكثر عليه ان يغضب على الذين شمتوا بيومها :

لئن لذّ يوم الشامتين بيومها لقد ولدت مني لأنفهم رغما

نعم كل هذا غير كثير ، فالعاطفة في هذا الشعر صادقة ، شريفة كريمة ، ولا عجب اذا غضب المتنبي على الذين شمتوا بموت جدته ، واذا أبرق وأرعد في هذا الغضب :

كأن بنيهم عالمون بانني جلوب اليهم من معادنه اليتما

ولو قابلنا بين عاطفته في هذه المرثية وبين عاطفته في غيرها من المراثي ، كالمرثية التي قالها في محمد بن اسحق التنوخي :

خرجوا به ولكل باكٍ خلفه صعقات موسى يوم دكّ الطور

والشمس في كبد السماء مريضة والأرض واجفة تكاد تمور

لتبين لنا الصدق من الكذب في العواطف ، فلا الشمس تمرض من موت رجل من الرجال ، ولا الأرض تمور ، فيكاد ابو الطيب في هذه المرثية يكون في زمرة هذه الطبقة من الشعراء التي تشبه النوّاحات في البكاء .

على اننا نجد في مراثيه في أم سيف الدولة :

مشى الأمراء حوليها حفاة كأن المرو من زف الرئال
وأبرزت الخدور مخبآت يضعن النقس امكنة الغوالي
أتتهن المصيبة غافلات فدمع الحزن في دمع الدلال

وفي أخته :

يظن ان فؤادي غير ملتهب وان دمع جفوني غير منسكب
بلى وحرمة من كانت مراعية لحرمة المجد والقصاد والادب

وفي عبده يماك :

لأبقى يماك في حشاي صبابة الى كل تركي النجار جليب

وفي مراثيه في ابي شجاع فاتك :

برد حشاي ان استطعت بلفظة فلقد تضر اذا تشاء وتنفع

شيئاً من العواطف الصادقة ولكنها لا تشبه عاطفته في بكائه على جدته ، فان قلبه في مرثيته في جدته هو الذي يملي عليه فيكتب .

هذا هو اليسير من الكلام على طبائع احساس المتنبي وعاطفته ، فالمتنبي صاحب إحساس شديد ، ولا يخلو هذا الاحساس في بعض المواطن من شيء من القسوة ، واي قلب اقسى من القلب الذي يأنس بالدم ومشاهده ، فلقد ذكر ابوالطيب الدم في كثير من شعره ، ولا يبعد ان يكون الرجل ميالاً الى الفتك ، ماذا أذكر من أبياته التي فاضت دماً ، أأذكر قوله :

فقد بردت فوق اللقان دماؤهم ونحن أناس نتبع البارد السخنا

أم أذكر قوله :

ما زال طرفك يجري في دمائهم حتى مشى بك مشي الشارب الثمل

أم أذكر هذا البيت :

ألقت اليك دماء الروم طاعتها فلودعوت بلاضرب أجاب دم

والابيات من هذا النحو مستفيضة في ديوانه ، ان حواسه لتنبسط الى رؤية الدم ، فلا يختلف عن صناديد القواد الذين ألفوا الدم في حروبهم ، فلا يستفظعونه ، فما اصدق ماقاله فيه الشريف الرضي : واما ابوالطيب المتنبي فقائد عسكر .

دمشق : في ٢٦ نيسان سنة ١٩٣١ .

اسامة بن منقذ

— ٢ —

أتقن أسامة الفن القصصي وأبدع في ايراد نكته كل الابداع . ولو عاش اليوم لتأهل لمركز أستاذ في احدى مدارس الصحافة التي تلقن طلبتها دروساً في كيفية معالجة الوقائع وسرد الحوادث . خذ مثالاً الكيفية التي روى فيها قصة الطبيب الافرنجي بازاء الطبيب العربي(١) او قصة جزاء الامانة(٢) فان الفن الحديث يكاد يعجز عن الاتيان باحسن منها .

لأسامة المؤلف لا أقل من ثلاثة عشر كتاباً اتصلت بنا اسماؤها . وضع معظمها في أخريات حياته وهو مبعد في حصن كيفا حيث انفسح له المجال للدرس والتأليف . ولقد ذكر بعضها حاجي خليفة في « كشف الظنون » (١) « كتاب البديع في البديع » . (٢) « تاريخ القلاع والحصون(٣) » . (٣) « أزهار الأنهار » . (٤) « التاريخ البلدي » . (٥) « نصيحة الرُعاة » . (٦) « التجائر المربحة والمساعي المنجحة(٤) » . (٧) « اخبار النساء(٥) » . (٨) « كتاب العصا(٦) » . (٩) « ديوان أسامة(٦) » . (١٠) « كتاب النوم والاحلام(٧) » . (١١) « كتاب المنازل والأدبار(٨) » . (١٢) « كتاب لباب الآداب(٩) » . (١٣) « كتاب الاعتبار » وهو الذي نحن في صدده .

---

(١) كتاب الاعتبار ص ٩٧ — ٩٨ . (٢) ايضاً ١٣١ . (٣) صالح بن يحيى ص٣٦ يقول ان « عز الدين أسامة المذكور هو الذي بنى قلعة عجلون » ويلوح لنا ان صالحاً خلط بين أسامتنا وغيره . (٤) راجع وصف درنبورغ لهذه المخطوطات في (Vie d,ousama) ٣٣٠ — ٣٣٨ . (٥) أشار اليه أسامة في « كتاب العصا » .

(٦) نشر درنبورغ منتخبات منه في باريز ١٨٩٣ . (٧) أشار اليه أسامة في « كتاب الاعتبار » ١٣٧ . (٨) مخطوطة في المتحف الاسيوي في لنينغراد ذكرها الاستاذ اغناطيوس كراتشقوفسكي في « مجلة المجمع العلمي العربي » تموز سنة ١٩٢٥ ص ٣٣٥ .

(٩) مخطوطة كتب لي عنها مالكها الدكتور يعقوب صروف بتاريخ ٣٠ ايار سنة ١٩٢٧ وعليها بخط ابن أسامة مرهف ان والده اهداها اليه سنة ٥٨٢ راجع « المقتطف » كانون اول سنة ١٩٠٧ ونيسان سنة ١٩٠٨ . وربما كانت بخط المؤلف نفسه . وفي رسالة

بعد ان تجاوز أسامة التسعين استدعاه صلاح الدين يوسف بن ايوب من حصن كيفا وأسكنه داراً بدمشق ، وذلك بمساعي ابن أسامة المحبوب مرهف الذي كان من المقربين لدى السلطان [1] . وارجع له صلاح الدين اقطاعاً كان في الاصل على مايظهر لأسامة ، فعاد خمر الحياة يجري في عروق الشيخ بعد ان كان استحال خلاً ، وتنعم صديقنا بشيء من الرفه والهناء قبيل وفاته . فأخذ يلقي المحاضرات في البديع ، ويدرّس في المدرسة الحنفية . ولكن لأسباب نجهلها انقلب عليه ظهيره صلاح الدين ، وربما كانت اقامة أسامة في مصر وأدت فيه ميلاً للتشيع لحظه صلاح الدين [2] « محيي دولة امير المؤمنين [3] » و « سنة الخلفاء الراشدين [4] » . ولانعلم كم طال هذا الجفاء . على ان صالح بن يحيى [5] ذكر ان صلاح الدين ولّى بيروت عز الدين أسامة بن منقذ احد ملوك بني منقذ وكان من المعظمين عند السلطان حتى لم يكن يقدّم عليه احداً في المشورة والرأي . وعاد فروى (ص ٣٨) ان عز الدين أسامة بن منقذ لما كان والياً على بيروت وبلغه خبر استيلاء الافرنج على صيداء خرج من المدينة بجماعته واهله ، فهجاه احدهم بقوله لصاحب حصن تبنين :

سلّم الحصن ما عليك ملامه   لا يلام الذي يروم السلامه

خصوصية من الشيخ خليل الخالدي بالقدس تاريخها ٩ ربيع الآخر سنة ١٣٤٧ انه رأى وهو بقونية باحدى خزائنها نسخة من « كتاب الغريبين » غريب القرآن وغريب الحديث لشارحه ابي عبيد احمد بن محمد بن ابي عبيد العبيدي الهروي على آخر الجزء الثاني ماصورته « وكان الفراغ منه يوم الاثنين ثالث وعشرين شهر رمضان سنة خمس وخمسين وخمسمائة بمدينة حمص . كتبه لنفسه منقذ بن مرشد بن علي بن مقلد بن نصر بن منقذ الكناني المالكي »

(١) ومن الذين امتازوا من آل منقذ شمس الدولة ابن اخي أسامة، اوفده صلاح الدين الى احد السلاطين الموحدين بمراكش للمخابرة بشأن استخدام الاسطول لقطع سبل الاتصال البحري بين الافرنج وبين بلادهم . وكان لأسامة عم مقرّب من الخليفة الفاطمي « كتاب الاعتبار » ص ١٥٤ .

(٢) الذهبي ملحق (Vie d' ousama) ٦٠٢ . (٣) « كتاب الاعتبار » ١٢٣ .

(٤) ايضاً ١٢٤ . (٥) « تاريخ بيروت » ٣٥ — ٣٦ .

فعطاء الحصون من غير حرب سُنةٌ سنَّها ببيروت أسامه

ويظهر من هذا ومن ابن الاثير[١] انه كان يومئذ ببيروت حاكم يعرف باسامة ولكنه هو غير ابن منقذ فالافرنج فتحوا بيروت عام ١١٩٧ وابن منقذ توفي عام ١١٨٨[٢] .

* * *

بعد ان توقَّل أسامة « ذروة التسعين[٣] » وهو في دمشق يتفيأ في ظلال نعمة مولاه صلاح الدين ، اخذ يطلّ من ذاك العلو الشاهق على سابق اختباراته ويدوّنها — او يلقنها — بانشاء ساذج عادي لا تصنع فيه ولا تعمل[٤] — تلك هي المذكرات الخالدة الموسومة بـ « كتاب الاعتبار » . أملاها أسامة وهو يردّد :

اذا كتبتُ فخطّي جدّ مضطربٍ كخط مرتعش الكفّين مرتعدِ
فاعجب لضعف يدي عن حملها قلماً من بعد حطم القنا في لبّة الأسد
وان مشيتُ وفي كفي العصا ثقلت رجلي كأني أخوض الوحل في الجلد[٥]

ولسان حاله :

قد كنتُ مسعرَ حربٍ كلما خمدتْ أذكيتُها باقتداح البيض في القُلل

اما الآن :

فصرتُ كالغادة المكسال مضجعُها على الحشايا وراء السجف والكلل
قد كدت أعفنُ من طول الثواء كما يصدي المهندَ طولُ اللبث في الخلل
أروحُ بعد دروع الحرب في حُلل من الدَّبيقي فبؤساً لي وللحُلل[٦]

بين كتب الادب العربي سيرٌ عددها غير قليل : منها ما كُتب في عصر أسامة بالذات : كسيرة صلاح الدين الموسومة « بالفتح القسي في الفتح القدسي » بقلم عماد الدين

(١) في « Recueil » مجلد ٢ جزء ١ ص ٨٥ . (٢) لم ينتبه لهذا الخلط بين الأسامتين الأب شيخو محرر صالح بن يحيى فانه في حاشية ٢ ص٣٥ جعل الاثنين واحداً .
(٣) « كتاب الاعتبار » ١١٩ . (٤) الشاذ الوحيد عن هذه القاعدة وصف أسامة لشيخوخته ولعطف صلاح الدين عليه ص١١٩ — ١٢٤ . (٥) ص١٢٢ .
(٦) ص ١٢٠ .

الكاتب الاصبهاني ، وأختها الموسومة « بالنوادر السلطانية » بقلم بهاء الدين ، وكسيرتي نور الدين وصلاح الدين المعنونتين « بكتاب الروضتين في أخبار الدولتين » تأليف ابي شامة . ولكنها كلها تتضاءل أمام سيرة أسامة بقلم نفسه « كتاب الاعتبار » هو اول سيرة في الآداب العربية — على ما نعلم — المترجم والمترجَم له فيها واحد .

رمى المؤلف من وراء كتابه الى تعليم أمثولة ادبية ، لذلك سماه « كتاب الاعتبار » وأورد مواد يرجى منها ان يعتبر القارئ بما حلّ بغيره و يستفيد لنفسه[1] . اما العظة التي اراد ان ينقشها على ذهن القارئ بحيث لا تمحى فهي « ان ركوب اخطار الحروب لا ينقص أجل المكتوب . فانني رأيت ... معتبراً بوضح للشجاع العاقل ، والجبان الجاهل ، ان العمر موقت مقدّر ، لا يتقدم اجله ولا يتأخر[2] ، وان الله مقدّر الأقدار وموقت الآجال والأعمار[2] » وانه يجب ان لا يظنّ ظانٌ ان الموت يقدّمه ركوب الخطر ، ولا تؤخره شدة الحذر[3] ، وان « النصر في الحروب من الله تبارك وتعالى ، لا بترتيب وتدبير ، ولا بكثرة نفير ولا نصير[4] » .

ولإثبات قضيته أتى أسامة بالقصة تلو القصة « التشابه والمشاركة ، واحياناً التناقض والمخالفة » كان السلك الذي قاده من رواية الى رواية . ولكن الكثير من المادة جاء دون تنظيم منطقي وفي أماكن غير خاصة به . هنا وهناك يشعر القارئ ان الراوي قد رشّ شيئاً من (البهار) على القصة لتحسينها ، او مطّ الواقع قليلاً في الحادث لإشباع داعي الغرض . أخبار كرامات الاولياء ومنافيهم (الباب الثاني ص ١٢٥ — ١٣٨) كلها ازدردها أسامة ، ولم يتسام فوق المستوى الذي عاش فيه جيله . كذلك الاحلام آمن بها ووضع فيها كتاباً[5] . بيد ان ذلك كله لا يعني ان مقياس الصدق لم يكن بالاجمال عالياً .

من أمتع فصول الكتاب وأطلاها فصل حلّل فيه أسامة الأثر الذي آثره في نفسه — وهو المسلم المحافظ — الافرنج الصليبيون . ملاحظات ابن جبير واقوال ابن الاثير لها

(١) ص ١٢٠ — ١٢١ . (٢) ١٢٠ . (٣) ١٢١ . (٤) ١٠٩ .

(٥) تجد اشارة الى « كتاب النوم والاحلام » في « كتاب الاعتبار » ١٣٧ .

منزلتها ، ولكنها لا توازي منزلة هذا الفصل المبني على اختبارات شخصية عديدة · الافرنج في نظر أسامة ، لهم شجاعتهم ولكنهم خالون من «الغيرة» الجنسية[١] · طبهم ساذج جاهل بالمقابلة مع الطب العربي على مامثّله ثابت[٢] وابن بطلان[٣] النصرانيان · محا كاتهم غبية غريبة[٤] · « من هو قريب العهد بالبلاد الافرنجية أجفى أخلاقاً من الذين قد تبلدوا وعاشروا المسلمين[٥] » · المؤلف لم يبخل عليهم بلقب « شياطين[٦] » و « كافرين[٧] » ، ولم يتردد في استنزال « لعنة الله عليهم[٨] » عملاً بمصطلح كتّاب ذلك اليوم ، وفي الدعاء الى الله تعالى ان « يطهّر الدنيا منهم[٩] » · لذلك يلذ لنا ان نسمع صديقاً افرنجياً يدعو أسامة « ياأخي[٩] » و يرجوه ان يسمح لابنه مرهف ان يرافقه الى بلاد الافرنج ، وان نرى أسامة يسمي الفرسان الداوية (Templars) «أصدقائي[١٠]» ونري هؤلاء يخلون له في المسجد الاقصى مسجداً صغيراً يصلي فيه اذا زار البيت المقدس .

وفي الكتاب ، فضلاً عن ذلك ، اشارات وفيرة تنير لنا أحوال البلاد الشامية لذلك العهد في الزراعة والاجتماع ، وتعرض أمام أبصارنا صوراً شتى من صور الحياة السورية العربية · فقد علمنا ان القطن كان من غلة كفرطاب[١١] ، وان غابات شمالي البلاد الكثيفة كانت غنية بالأسود والنمور والغزلان وحمُر الوحش[١٢] ، وان جلاء العروس[١٣] — على ماهو متبع الى اليوم في لبنان — كان عادة في القرن الثاني عشر ، وان استئجار ندّابات تندب في المآتم[١٤] كان معروفاً يومئذ كما هو معروف اليوم ·

و يتناول آخر فصول الكتاب (ص١٣٩ فما بعد) مسألة الصيد على ما مارسه ابناء ذلك الزمان بالبازي والصقر وبمعونة الكلاب ، وذلك على شواطئ دجلة والفرات والعاصي والنيل · حتى صيد السمك بالطرق العتيقة الساذجة لم تفت أسامة فانه وصفها[١٥] كأنك ترى العملية بعينيك ·

* * *

(١) « كتاب الاعتبار » ١٠٠ · (٢) ٩٨ · (٣) ١٣٥ — ١٣٨ ·
(٤) ١٠٣ · (٥) ٩٩ · (٦) ٨٧و٩٥ · (٧) ١٠٠و٩٥ · (٨) ١٠٣ الخ ·
(٩) ٩٧ (١٠) ٩٩ (١١) ١١٢؛ س٨ (١٢) ٨٠ — ٨٢ — ١٤١ ·
(١٣) ١٣٣ س٨ (١٤) ٨٥ (١٥) ١٦١ ·

مخطوطة كتاب الاعتبار هي وحيدة لا أخت لها ، على ما نعلم ، محفوظة في مكتبة الاسكوريال في اسبانيا . وهي ٦٧ ورقة ومخرومة الاول فقد منها ٢١ ورقة ، فيكون اصلها ٨٨ ورقة . والمخطوطة مكتوبة بالحبر الاسود وبالخط الشامي الذي يرتقي الى القرن الثالث عشر . فهي إذن من أقدم المخطوطات العربية التي اتصلت بنا .

وفي خاتمة المخطوطة ما نصه :

« وكان في آخر الكتاب مامثاله :

قرأت هذا الكتاب من اوله الى آخره في عدة مجالس على مولاي جدّي الامير الأجل العالم الفاضل الصدر الكامل عضد الدين ، جليس الملوك والسلاطين ، حجة العرب خالصة امير المؤمنين ، أدام الله سعادته . وسألته ان يجيزني روايته عنه . فأجابني الى ذلك . وسطّر خطه الكريم به . وذلك في يوم الخميس ثالث عشر صفر سنة عشر[1] وستمائة صحيح ذلك . وكتب جده مرهف بن أسامة بن منقذ حامداً ومصلياً » .

والتاريخ اعلاه ١٣ صفر ٦١٠ (٤ تموز سنة ١٢١٣) ، ليس هو تاريخ مخطوطتنا هذه — كما وهم درنبورغ[2] — بل تاريخ الام التي نسخت عنها . فنسختنا إذن غير مؤرخة ، ولكنها منقولة عن مخطوط كُتب بعد وفاة المؤلف (أسامة) بست وعشرين سنة قمرية وعليه اجازة من مرهف بن أسامة المحبوب موقّعة بامضائه .

وهذه المخطوطة نشرها الاستاذ هارتوغ درنبورغ بالطبع (ليدن ١٨٨٤) . وهي التي نعدّها الآن للطبع في مطبعة برنستون العربية وذلك نقلاً عن الصورة الفوتغرافية التي حصلنا عليها من الاسكوريال بمساعي السفارة الاميركية في مدريد .

وقد حفلت مخطوطتنا بالاغلاط النحوية الصرفية التي لا يتأتى ان يرتكبها مؤلفها — واضع كتاب في «البديع» وصاحب «ديوان» — وهي ايضاً غنية بالعبارات العامية مما يدل على ان المؤلف وهو شيخ ضعيف أملى كتابه شفاهاً وان ايدي النساخ عبثت به .

واليك امثلة من آثار عدم عناية الناسخ اوالنساخ : (دشني) (دشن)[3] (موز)

(١) «عسره» في الاصل . (٢) في المقدمة الافرنسية ص ١٠ التي قدمها مطبوعته «كتاب الاعتبار» . (٣) ص ٣٨ .

(موزا)[1] ، (الرحا) (الرحى)[2] ، (قاسم) (قسيم)[3] ، الى آخر ماهنالك من الكلمات التي جاءت بصورتين او اكثر في سطر واحد اوصفحة واحدة .

اما استعمال العبارات العامية فهو فضلاً عن دلالتـه على سلاسة ذوق أسامة في الانشاء اذ كم من حقيقة بعيدة الغور في طبيعة الانسان اواختباره — لا يسهل التعبير عنها في الأدب العالي ومعظمه اصطناعي بل في النسق الساذج (الدارج) الأقرب اتصالاً بمصادر الحياة ومناحيهـا — فأمره يهمنا من وجهة أخرى . مقابلة هذه الألفـاظ والاصطلاحات مع مايماثلها في لغتنا العامية اليوم فيه درس مهم في تطوّر اللغة العربية المحكية . وهاك امثلة من أسامة :

(أ) « أيش (اي شيء) انتم ؟ » (ص٨) — « ايش (اي شيء) كان من خبر الصبية ؟ » (ص ١٢٩) — « ماقي (لا يقدر) هذا يسرق رغيف خبز » (ص٣٣) — « تموا (مازالوا) يطردونهم » (ص٣٧) — « خفت لا (ائلا) يكون لهم » (ص٤٧) — « دار حول الصخرة وطّلع (تطلّع) تحتها » (ص١٥٩) — « حمدت الله سبحانه الذي (اللي — في العامية) ماناله ضيرر » (ص ٤٧) الخ .

(ب) استعمال صيغة الجمع العاقل لما لا يعقل : — « الكلاب نطعمهم (نطعمها) من عيشنا » (ص ٩) .

(ج) استعمال المثنى المنصوب في حالة الرفع : — « ديواني كل شهر دينـارين (ديناران) » (ص٥٦) — « وفيه خرنقين (خرنقان) » (ص١٤٣) .

(د) ارجاع ضمير الجمع او المفرد لاسم مثنى : — اطمرهم (اطمرهما) » (ص١٤٣) « يبست رجلاي ودقت (دقتا) » (ص١٣١) — فخرج فارسان ... فصـادفوا (فصادفا) رجلاً ... فأخذوه (فأخذاه) » (ص٤٧) .

(هـ) لغة اكلوني البراغيث : == « فاقتطعوهم (فاقتطعهم) الروم » (ص٦٩) .

(و) الميل لاهمال الهمزة او تحويلها ياء : == « الحيط (الحائط) » (ص٥٥) — « خبّيتـه (خبّأته) » (ص٣٤) « غار (أغار) » (ص ٤٣) — « إسل (إسأل) » (ص٦٥) .

---

(١) ص ٥٣ . (٢) ص ٧٨ . (٣) ص ١٢٥ .

(ز) إبدال ثاني الحرفين المدغمين ياءً : = « دآيت (دللت) الحرامية » (ص ١٠٢) — « شقيته (شققته) » (ص١٠٨) .

(ح) الاشباع : = « روحْ (رُحْ) » (ص ٩١) .

وفي نسق الكاتب ظاهرة غريبة : وهي ميله الى استعمال صيغة المؤنث : = « غار معلّقة » (ص ٥٢ س ١١) — « عقرب صغيرة » (ص ٨١ س ٨) — « حجر ثانيـة » (ص ٨٤ س ١٤) — « الأرنب دخلت » (ص ١٤١ س ١) — « سكيناً صغيرة » (ص٧٦ س٢٣) - « طارت الحجل » (ص١٤٦ س١٥) .

وللمخطوطة من حيث الخط ميزات منها انها انتهت الينا خلواً من حركات الاعراب ، ومن علامات الوقف ، ومن اكثر نقط الحروف ، بحيث يصعب احياناً التمييز بين الفاعل والمفعول ، وبين المعلوم والمجهول وبين نهاية الجملة الواحدة وبداية الأخرى . خذ مثالاً لذلك لفظة (عدل) التي وردت في قصة تمر جاء به احد الحلبيين الى صاحب القدموس . فان درنبورغ على مايظهر قرأها (عَدْل) (ص٨٣) وترجمها [1] (La séance) ، وهي في الحقيقة (عِدْل) بمعنى كيس . ولقد ورد في قصة بعض قطاعي الطرق كلمة (سىقهم) فقرأها درنبورغ (تسبقهم) (ص٥١) ، وقرأها لاندبرغ [2] (تسبقهم) ، وقرأها كاتب هذه الاسطر (يشنقهم) . بين (السبق) (والشنق) بالتهجئة فرق متضمن في بعض نقط ، ولكنه بالفعل فرق عظيم . في صفحة ٩١ ورد اسم علم هذه صورته (حرار) فهو جرّار ، جزّار ، جزّاز ، حرّار ، حرّاز ، حراز ، خراز ، خرّاز ، خزّار ، خزّاز — عشر قراءات فقط لاغير وكلها واردة في اسماء اعلام الذهبي (المشتبه) [3] ، فاختر لك منها ما يحلو .

ولقد يؤدي عدم وجود احرف هجاء كبيرة لتمييز العلم عن النكرة ، كما هي الحال في

(١) « Autobiographie d, Ousàma » (Paris ١٨٩٥) ص ١١٠ .

(٢) Landberg « Crtica arabica » N° 2 (Leiden ١٨٦٦) ص٢٦ .

(٣) (ليدن ١٨٦٣) ٩٧ — ١٠٠ .

اللغات الاوربية احياناً — الى الاشتباه في اللغة العربية . ففي صفحة ٣٧ سطر ١٧ وصفحة ١٥٢ سطر ٧ وردت (العلاة) وهي اسم بلدة في سورية الشمالية فحسبها درنبورغ نكرة وترجمها (La ville hause)[1] . اما « قرية خربة » (ص٦٠) فحسبها علماً[2] .

ان إرجاع الضمير من معضلات العربية . ولمكان الاشكال فيه جعل درنبورغ يحسب مرة ان المطعون طار من السرج الى رقبة الحصان ، والحال انه الطاعن (ص٤٦)[3] ، وأخرى ان الجرائحي نشر ساق المريض (ص١٠٧)[4] ، والظاهر ان المريض هو الذي نشر ساق نفسه ، وثالثة ان الجريح غشي عليه[4] ، والحال ان الغلام الشاهد هو الذي غشي عليه (ص١٠٧) .

وليس في المصطلحات العربية علامات للاقتباس تتضمن الجمل الحكية . وهذا ماجعل درنبورغ[5] يعتبر الجملة الاخيرة من خطاب أسامة لرجالة عسقلان غير داخلة في ذلك الخطاب ، مع انها جزء منه (ص١١) . ولما مثل أسامة بين يدي الملك الافرنجي فُأمك وأعرب له هذا عن فرحه به لانه فارس عظيم أجاب أسامة « انا فارس من جنسي وقومي » وورد على اثر ذلك في الاصل « واذا كان الفارس دقيقاً طويلاً كان أعجب لهم » . فدرنبورغ[6] ضمَّن العبارة الثانية في الاقتباس وجعل أسامة دقيقاً طويلاً بالاستنتاج . والذي يلوح لي ان العبارة الثانية غير داخلة في الاقتباس والضمير فيها يعود للافرنج ، فيكون أسامة سميناً قصيراً .

لم يكن أسامة يحسن غير اللغة العربية . ففي صفحة ٤٩ يقول عن الافرنج « انهم لايتكلمون الا بالافرنجي ماندري ما يقولون » . وفي مكان آخر يشير الى امرأة افرنجية « تبربر بلسانهم وانا لاأدري ماتقول » (ص١٠٤) ، ويذكر ان رفيقه الغرسياني « التفت الى غلام له كلمه بالتركي ولا أدري مايقول » (ص٧٥) . وفي غير موضع يقول « وهم يتكلمون بالتركي ولاأدري مايقولون » (ص١١٢) . على ان ذلك كله لم يمنعه من استعمال

---

(١) (Autobiographie) ص ٥٠ (٢) ايضاً ص ٨١ .

(٣) قابل (Autobiographie) ص ٦٣ (٤) ايضاً ١٤٢ .

(٥) ايضاً ١٤ (٦) ايضاً ٤٧ .

كلمات افرنجية كـ: «مرجندي» (ص٥٦) و«مرجند» (ص٤٩) (sergeant) = «تركبولي» (ص٣٧) (Turcopole) = «برجامي» (ص١٠٤) (bourgeoisie) «البسكند» (ص١٠٢) (viscount) = «الداما» (ص١٠٠) (madame) = «البرونس» (ص٨٧) (prince) .

والذي يهمنا اكثر من ذلك استعمال طائفة من الكلمات الفارسية والتركية واليونانية التي كانت صقلتها ألسن العرب وألفتها آذانهم . ومما يجب ملاحظته ان معظم أسماء آلات الحرب انما هي فارسية ، وذلك لان العرب نقلوا الاساليب الحربية عن جيرانهم الفرس . واليك بعض الأمثلة من الألفاظ الفارسية المعرّبة :

(سندروس) (ص٨س١٣) (سَندروس ، معدن شبيه بالكهرباء — سَمرْفسار) (ص٩س٢٠) (سَمرْأفسار ، راس العنان — كُزاغند) (ص٣٤س٣٧) (كژاگند . كزاغند ، سترة تقوم مقام الدرع — (دركاه) (ص٣٦س١٩) (دركاه ، بلاط الملك = (دُشني) (ص٣٨س١٦) دشنه ، خنجر = (خشْت) (ص٣٨س٢٠) خشت ، حربه = (موزا) (ص٥٣س٢٣) = مُوزه ، خفّ = (اوزبه) (صفحة٥٤س١٠) = اوزبك ، اميرالجيش = (بُشْت) (صفحة٨٦س٢٤) = بشت ، عباءة = (تَرْكَش) (صفحة١٥٨س٨) = تَرْكُش ، جعبة = (ديدب) (صفحة ٩٤ س١٠) = ديدهبان ، راقب .

وهنالك لفظتان فارسيتان اشتبه امرهما على درنبورغ فحسبها عربيتين : (برجم) (صفحة١١٨س٩) = برجم ، شعر ذنب عجل البحر . فظنها درنبورغ (براجم) العربية وترجمها (Articulatoins de doigts) [1] . و(نشاف) (صفحة٩٨س١) وهي في الراجح (نشاف) الفارسية = بلَه . وترجمها درنبورغ [2] (Consomption) .

واليك مثالاً من الالفاظ التركية الواردة في الكتاب : (يَرَق) (صفحة٧٦س٦) يراق ، سلاح = (جوبان) (صفحة٧٨س١٣) = چوبان ، راعٍ [3] .

(١) (Autobiographie) ١٥٦ . (٢) ايضاً ١٢٩ . (٣) اما درنبورغ (صفحة١٠٥) فحسبها علماً وكتبها (Djaubân al-khail) .

ومن الألفاظ اليونانية : (سقلاطون) (صفحة ٧ س ٢١) = ثياب موشيّة = (قنطارية) (صفحة ٤٢ س ٢١) = الرمح او قناته = (زُرْبول) (صفحة ٨١ س ٧) = حذاء ·

ولا بد لي هنا من الاعتراف ان الاستاذ درنبورغ جاهد قبلي جهاد العلماء الابطال في حل ألغاز المخطوطة العربية وكشف معمياتها ، واني مدين له بالشيء الكثير من حيث قراءة الاصل وفهم المراد ·

على اثر ظهور ترجمة درنبورغ الافرنسية لِ « كتاب الاعتبار » ظهرت ترجمة المانية بقلم جورج شومان (Georg Schumann) عنوانها : [1] (Usama Ibn munkidh memoiren) اعتمد فيها الكاتب على الترجمة الافرنسية مع تصريحه في مقدمة الكتاب بانه ترجمه عن الاصل العربي · وهذه بعض الشواهد على ذلك : درنبورغ اغفل سهواً في ترجمته [2] اسم خطيب إسعرد الاول وهو (سراج الدين) مع انه مثبت في الاصل (صفحة ١٢٥) ، وكذلك فعل شومان [3] · اقحم درنبورغ في مكانين من ترجمته [4] كلمة (نصر) بعد (ناصر الدين) وهي غير واردة في الاصل (صفحة ٢٠ س ٢ و ١٢) ، وشومان اتبع اثره [5] · في موضع آخر اشتبهت كلمة (ثمان) (صفحة ٧٧ س ١٩) على درنبورغ فحسبها (ثمن) وجعل غلة الطاحون مائة دينار (Cent dinars) [6] بدلاً من ثمانمائة دينار كما في الاصل العربي ، وشومان اقتفى خطواته (على العمياني) وترجم hundert denaren [7]

ولقد نشرت في العام الفائت عن المخطوطة الاصلية المحفوظة بالاسكوريال (كتاب الاعتبار) هذا مترجماً للانكليزية بعنوان : (An Arab-syrian gentlema nauel warrior ui the period of the Cruisades) (New york) ·

وهي المخطوطة التي نحن بصدد نشرها · وفي العام نفسه ظهر في لندن طبعة أخرى انكليزية [8] لاقيمة علمية لها ولاجديد فيها لانهـا مبنية على الترجمة الافرنسية السابقة ·

(١) طبع (Innsbruck) سنة ١٩٠٥ · (٢) (Autobiographie) (١٦٥ ·
(٣) (Memoiren) ٢٢٩ · (٤) (Autobiographie) ٢٦ س ١٤ و س ٣٧
(٥) (memoiren) ٥٠ و ٥١ · (٦) (Autobiographie) ١٠٤ س ١٩ وس ٢٨ · (٧) (Memoiren) ١٥٤ س ١٥ ـ ١٦ و ٢٤ ·
(٨) « Autobiography of Ousama ibn Mounkidh »

فيكون الكتاب قد ترجم للافرنسية والالمانية والانكليزية ٠

في يوم الاثنين الواقع في ٢٣ رمضان من سنة ٥٨٤ ﻫ (١٦ تشرين الثاني سنة ١١٨٨) وهي السنة التالية للسنة التي استرجع فيها صلاح الدين بيت المقدس من يد الافرنج ، توفي أسامة في دمشق عن ٩٦ سنة قمرية (٩٣ شمسية) ، ودُفن ثاني يوم وفاته في سفح جبل قاسيون الجبل الذي نعته ياقوت [1] بانه (مُعظَّم مُقدَّس) ٠ ولقد دُرس قبره مع مادرس من الآثار في ذلك الجانب من الجبل وقامت على أنقاضها الدور الحديثة [2] ٠ ولكن المترجم الدمشقي الشهير بابن خلكان زار تربة أسامة بعيد وفاته حيث قال « ودخلت تربته وهي على جانب نهر يزيد الشمالي وقرأتُ عنده شيئًا من القرآن وترحمت عليه » [3] ٠

جامعة برنستون : فيليب حتي

عضو المجمع العلمي العربي



---

(١) « معجم البلدان » ٤ : ١٣ ٠

(٢) هذه خلاصة تقرير تكرم به بتاريخ ١ تشرين الاول سنة ١٩٢٨ الاستاذ « المغربي » احد اعضاء المجمع العلمي العربي بدمشق وكنت كلفته امر التنقيب عن قبر أسامة ٠ (٣) ١ : ١١٢

جامع التواريخ

« نشوار المحاضرة »

او اخبار المذاكرة

— ٨ —

حدثني «١» ابو العباس احمد بن عبد الله بن احمد بن ابراهيم بن البحري «٢» القاضي الداوودي «٣» وهو شيخ من خلفاء قضاء القضاة مشهور بمدينة السلام بالعلم والتصرف في الحكم . قال حدثني ابو الحسين عبد الله ابن احمد بن محمد بن المفلس الداوودي قال كان ابو بكر محمد بن داود وابو العباس بن سريج اذا حضرا مجلس القاضي ابي عمر لم يجر بين اثنين فيما يتفاوضانه احسن مما يجري بينهما وكان ابن سريج رضي الله عنه كثيراً ما يتقدم ابا بكر في الحضور الى المجلس فتقدمه في الحضور ابو بكر يوماً فسأله خلق «٤» من الشافعية عن العود الموجب للكفارة «٥» ما هو قال

«١» طبقات الشافعية للسبكي ٢ : ٨٩ .

«٢» عند السبكي : البختري .

«٣» م ، ع ، في طبقات السبكي الداوردي هنا وفيما يلي .

«٤» م ، ع ، في الطبقات فسأله حدث .

«٥» م ، ع ، في طبقات السبكي للكفارة في الظهار .

انه اعادة القول ثانياً وهو مذهبه (١) وحضر ابن سريج فاستشرحهم ماجرى فشرحوه فقال ابن سريج لابن داود ولا ياابا بكر اعزك الله هذا قول من (؟)من المسلمين تقدمكم(٢)فاستشاط ابو بكر من ذلك وقال أتقدر ان من اعتقدت ان قولهم اجماع في هذه المسألة اجماع عندي احسن احوالهم ان اعده (٣) خلافاً وهيهات ان يكونوا كذلك فغضب ابن سريج وقال له انت ياابا بكر بكتاب الزهرة (٤) امهر منك في هذه الطريقة فقال ابو بكر بكتاب الزهرة تعيرني والله ماتحسن تستتم قراءته قراءة من يفهم وانه لمن احدى المناقب اذ كنت اقول فيه :

اكرر في روض المحاسن مقلتي ... وامنع نفسي ان تنال محرما
وينطق سري عن مترجم خاطري ... فلولا اختلاسي رده لتكلما
رأيت الهوى دعوى من الناس كلهم ... فما ان أرى حباً صحيحاً مسلما

فقال القاضي ابو العباس بن سريج أعليّ تفتخر بهذا القول وانا الذي اقول :

ومساهر بالغنج من لحظاته ... قد بت امنعه لذيذ سباته (٥)
صبا بحسن حديثه وعتابه ... واكرر اللحظات في وجناته
حتى اذا ماالصبح لاح عموده ... ولي بخاتم ربه وبراته (٦)

«١» عند السبكي : ومذهب داود. «٢» م.ع. في الطبقات تقدمكم فيه. «٣» عند السبكي : اعدهم. «٤» يعني كتاب ادب الفه ابو بكر «٥» م.ع. في الطبقات سناته. جمع سنة اي النعاس . «٦» بالاصل وفراته ،الصواب عندالسبكي.

فقال ابن داود لابي عمر ايد الله القاضي قد اقر بالمبيت على الحال التي ذكرها وادعى البراءة مما يوجبه فعليه اقامة البينة فقال ابن سريج من مذهبي ان المقر اذا اقر اقراراً وناطه بصفة كان اقراره موكولا الى صفته فقال ابن داود للشافعي في هذه المسألة قولان قال ابن سريج فهذا القول اختياري الساعة

حدثني مبشر مولى ابي قال قدمت سوق الاهواز من غيبة كان مولاي غائبها فكتب من المشرعة الى ابي ايوب داود بن علي بن ابي الجمد الكاتب وكان بينهما أنسة ومودة وعرفه قدومه فالتمس منه ان ينفذ اليه مركوبا ليركبه من المشرعة الى داره فانفذ اليه ابو ايوب المركوب وكتب اليه :

عبدك داود به علة تمنعه ان يتلقاكا

والبغلة الشهباء قد اسرجت فاركب فديناك فديناكا

عيني الى الباب واذني الى مبشري قد جاء مولاكا

حدثني ابو علي محمد بن محمد بن ابى بكر بن ابي حامد صاحب بيت المال وكان ابوه المكنى بابي حامد قد تقلد القضاء وابو علي هذا قد خلف عدة قضاة على غير بلد قال حدثني ابن حجا الاصفهاني قال قيل لابي مسلم محمد بن بحر لما دخل اصبهان واليها وصارفا لابن رستم ان ابن رستم قد اخذ طالعاً في دخولك وهو يذكر أنه غير جيد فقال ان كان قد اخذ طالعي فقد أخذت غاربه

حدثني ابو الحسين علي بن هشام قال كان (١) ابو الحسن بن الفرات لما ولي الوزارة الاولى وجد سليمان بن الحسن يتقلد مجلس المقابلة في ديوان الخاصة من قبل علي بن عيسى واليه اذ ذاك الديوان فقلد ابو الحسن سليمان الديوان باسره فأقام يتقلده نحو سنتين فقام يصلي المغرب فسقطت من كمه رقعة بخطه نسخة سعاية بابن الفرات واسبابه وسعى لابن عبد الحميد كاتب السيدة بالوزارة (٢) واخذها بعض اسبابه وتقرب بها الى ابن الفرات فقبض عليه للوقت فانفذه الى واسط في زورق مطبق وصودر وعذب بواسط ثم رجع له ابن الفرات لما وقف من كتاب صاحب الخبر (على) ان ام سليمان ماتت ببغداد ولم يحضرها ولا رآته قبل موتها فاغتم لذلك وبدا (٣) فكتب اليه بخطه كتابا اقرأنيه سليمان بعد ذلك فحفظته ونسخته: ميزت اكرمك الله بين حقك وجرمك فوجدت الحق يوفي على الجرم وتفكرت في سالف خدمك في المنازل التي فيها ربيت وبين اهلها غذيت فثناني اليك وعطفني عليك واعادني الى افضل ماعهدت واجملماالفت فثق اكرمك الله بذلك واسكن اليه وعول في صلاح مااختل من امرك عليه واعلم انني أراعي فيك حقوق ابيك التي تقوم بتوكيد السبب مقام اللحمة والنسب وتسهل ماعظم من جنايتك وتقلل ما كثر من اساءتك ولن ادع

«١» تجارب الامم ١:١٥ وكتاب الوزراء لهلال ص : ١٠٢ . «٢» م.ع. : في كتاب الوزراء فوقعت في يد احد الحواشي فحملها الى ابن الفرات ولما وقف عليها قبض عليه الخ «٣» م.ع. : لعل الاصل بداله

مراعاتها والمحافظة عليها ان شاء الله وقد قلدتك اعمال دستميسان(١) لسنة ٢٩٨ وبقايا ماقبلها وكتبت الى احمد بن حبش بحمل عشرة الآف درهم اليك فتقلد هذه الاعمال وأظهر فيها اثراً حميداً ينبيء عن كفايتك ويؤدي الى ما احبه من زيادتك ان شاء الله

حدثني ابو الحسين علي بن هشام قال حدثنا ابو عبد الله محمد بن العباس الترمذي قال حدثنا عمر عن اليزيدي الاكبر مؤدب المأمون قال دخل ابو العباس الفضل بن الربيع على ابي علي يحيى بن خالد البرمكي وهو جالس للحوائج وابنه جعفر يوقع بين يديه فعرض عليه رقعة فقال هذا لا يمكن واخرى فقال هذا مما قد حظره امير المؤمنين واخرى فقال هذا يفسد به الاولياء (واخرى) فقال هذا يثلم الارتفاع الى ان عرض عليه عشر رقاع واعتل فيها بعلل مختلفة ولم يوقع له بشيء فجمعها الفضل وقال ارجعن خائبات ونهض وهو يقول:

عسى وعسى يثني الزمان عنانه بتصريف حال والزمان عثور
فتقضي لبانات وتشفي حسائك(٢) ويحدث من بعد الامور امور

فسمعها يحيي فقال عزمت عليك ياابا العباس مارجعت فرجع فوقع له في الرقاع كلها

«١» م.ع. : قال ياقوت دستميسان كورة بين واسط والبصرة والاهواز وهي الى الاهواز اقرب. وقيل هي كورة قصبتها الابلة فتكون البصرة من هذه الكورة.

« ٢ » م.ع. جمع حسيكة او حساكة وهي العداوة والحقد.

حدثني ابو الحسين قال حدثنا ابو الحسن علي بن عيسى قال حدثنا ابي قال حدثنا ابو داود بن الجراح قال قال لي الفضل بن مروان كنت اعمال في ديوان ضياع الرشيد مجلس الحساب فنظمت في الحساب السنة التي نكب فيها البرامكة ووجدت قد ثبت فيه ثمن هدية دفعتين من مال ضياع الرشيد واهداهما الى جعفر بن يحيي بضعة عشر الف دينار وفيه بعدشهور من هذه الهدية قد ثبت في الحساب لثمن نفط وحب قطن ابتيع وحرق به جثة جعفر بن يحيى بضعة عشر قيراطاً ذهباً .

حدثني ابو الحسين قال حدثنا ابو عبد الله نفطويه قال حدثنا ابو العباس ابن الفرات قال قال لي ابو عبد الله ابن سليمان قال قال لي ابي سمعت ابا الحسن عبيد الله بن يحيى بن خاقان قال سمعت ابا جعفر احمد بن يوسف يقول وهو اذ ذاك وزير المأمون لما قال الشاعر بعد قتل ابي سلمة وزير السفاح:

ان الوزير وزير آل محمد اودى فمن يشناك كان وزيرا

كذبت الوزراء من يشناك فلا يدخل في هذا الامر الا منحوس.

حدثني ابو علي بن ابي حامد قال سمعت خلقاً بحلب يحكون ان ابا الطيب احمد بن الحسين المتنبيء بها اذ ذاك كان في بادية السماوة ونواحيها الى ان اخرج اليه لؤلؤ من حمص من قبل الاخشيدية فقاتله واسره وشرد من كان اجتمع اليه من كلب وكلاب وغيرهما من قبائل العرب وحبسه في السجن دهراً طويلا فاعتل وكاد ان يتلف حتى سئل في امره فاستتابه

وكتب عليه وثيقة اشهد عليه فيها ببطلان ما ادعاه ورجوعه الى الاسلام وانه تائب منه ولا يعاود مثله واطلقه قال وكان قد تلا على البوادي كلاماً ذكر انه قرآن نزل عليه وكانوا يحكون له سوراً كثيرة نسخت منها سورة فضاعت وبقي اولها (في) حفظي وهو:

والنجم السيار. والفلك الدوار. والليل والنهار . ان الكافر لفي اخطار. امض على سبيلك. واقف أثر من كان قبلك من المسلمين (١) فان الله قامع بك زيغ من ألحد في دينه وضل عن سبيله .

قال وهي طويلة ولم يبق في حفظي منها غير هذا قال وكان المتنبيء اذا استوعب (٢) في مجلس سيف الدولة ونحن اذ ذاك بحلب يذكر له هذا القرآن وامثاله مما كان يحكى عنه فينكره ويجحده. قال وقال له ابن خالويه النحوي يوماً في مجلس سيف الدولة لولا ان الآخر جاهل لما رضي ان يدعى بالمتنبيء لان متنبيء معناه كاذب ومن رضي لنفسه ان يدعى بالكذب فهو جاهل فقال لست ارضى ان ادعى بذلك وانما يدعوني به من يريد الغض مني ولست اقدر على الامتناع. فاما انا فاني سألته بالاهواز في سنة ٣٥٤ عند اجتيازه بها الى فارس في حديث طويل حدث بيننا — عن معنى المتنبيء لاني اردت ان اسمع منه هل تنبأ ام لا فأجابني بجواب مغالط لي وهو ان قال: هذا شيء كان في الحداثة اوجبته الصورة فاستحييت ان ان استقصي عليه وامسكت. وقال لي ابو علي بن ابي حامد قال لي ابي ونحن

«١» م.ع. في طبقات ابن الانباري من المرسلين. «٢» م.ع. كذا في الاصل .

بحلب وقد سمع قوماً يحكون عن ابي الطيب المتنبيء هذه السورة التي قدمنا ذكرها لولا جهله. أين قوله امض على سبيلك الى آخر الكلام – من قول الله عز وجل (فاصدع بما تؤمر واعرض عن المشركين انا كفيناك المستهزئين) الى آخر القصة وهي[1] تتقارب الفصاحة بينهما او يشتبه الكلامان.

حدثنا ابو الحسن محمد بن شجاع المتكلم البغدادي قال : حدثنا ابو سلمة العسكري احد غلمان ابي علي الجبائي قال كنت بحضرته يوماً وهو يصلي ونحن جلوس نتحدث فقال رجل منا اليوم كنت عند صديق لي فأطعمني معقود العسل ودهن اللوز فقالوا...... [2] ليس بها من يكون هذا عنده الا العامل ولست ممن يأكل طعام العمال [3] فمن الرجل يشوش الكلام وسلم ابو علي من صلاته فقال لنا لا يهوسكم[4] لعله كان اليوم عند الصيدلاني وتناول [5] لطريقك [6] فقال الرجل هكذا كان.

وحدثنا ابو الحسين ايضاً قال حدثنا ابو محمد الحسن بن عمرو قال[7] كنت بالاندلس فقيل لي ان بها تلميذاً لابي عثمان الجاحظ يعرف بسلام بن زيدويكنا [8]

«١» م.ع. في طبقات ابن الانباري وهل. «٢» بياض بالاصل. «٣» م.ع. لعله فمر الرجل يشوش او وتشوش الكلام اي اختلط. «٤» كذا في الاصل ولعله لا يهولنكم. «٥» م.ع. كذا في الاصل ولعله تناول اطريفلا وسماه ابن البيطار في مفرداته طريفلن وقال هو اسم يوناني ومعناه ذو ثلاثة الاوراق وشرح له فوائد طبية كثيرة الى ان قال : (وقد يقع اصل هذا النبات في اخلاط الادوية المعجونة) فليراجع. «٦» لعله كطريقك. «٧» معجم الادباء – ٦ : ٧٤ – «٨» م.ع. كذا في الاصل والصواب يكنى.

ابا خلف فأتيته فرأيت شيخاً همّاً فسألته عن سبب اجتماعه مع ابي عثمان ولم يقع ابو عثمان الى الاندلس فقال كان طالب العلم (١) يشرف عند ملوكنا فوقع الينا كتاب التربيع والتدوير له فاشاروا اليه ثم اردفه عندنا كتاب البيان والتبيين فبلغ الرجل الصكاك(٢) بكتابة هذين الكتابين قال فخرجت لاعرج على شيءٍ حتى قصدت بغداد فسألت عنه فقيل هو بسر من رأى فأصعدت اليها فقيل قد انحدر الى البصرة فانحدرت اليه وسألته (٣) عن منزله فأرشدت فدخلت اليه واذا هو جالس وحواليه عشرون صبياً ليس فيهم ذو لحية غيره قال فدهشت فقلت ايكم ابو عثمان فرفع يده الي وحركها في وجهي وقال من اين. فقلت من الاندلس قال طينة حمقاء. فما الاسم؟ قلت سلام قال اسم كلب القراد. ابن من؟ قلت ابن يزيد(٤) قال بحق ماصرت (٥) ابو من؟ قلت ابو خلف قال كنية قرد زبيدة. ماجئت تطلب؟ قلت العلم قال ارجع بوقت فانك لا تفلح قلت له ماانصفتني فقد اشتملت على خصائل (٦) اربع: جفاء البلدية (٧) وبعد الشقة وغرة الحداثة ودهشة الداخل. قال فترى حولي عشرين صبياً ليس فيهم ذو لحية غيري. ما كان يجب

«١» م.ع. في ياقوت طالب العلم بالمشرق يشرف عند ملوكنا بلقاء ابي عثمان «٢» م.ع. الصواب اسقاط لفظة بكتابة كما في ياقوت والصكاك كغراب لغة في السكاك وهو الهواء الملاقي عنان السماء. اي بلغ غاية الرفعة الخ «٣» م.ع. كذا في الاصل والظاهر. اليها. وسألته. «٤» كذا في خطنا وعند ياقوت وسبق ان اسم ابيه زيد. «٥» لعله صرف «٦» م.ع. كذا في الاصل ولم نجد خصائل بهذا المعنى فالظاهر خصال كما في ياقوت «٧» م.ع. الظاهر البادية.

ان تعرفني بها قال فأقمت عليه عشرين سنة قال وكان سلام هذا يحسن العلم قال وبلغني عن ابي بكر بن مجاهد انه قال: الناس اربعة مليح يتبغض فلملاحته. وبغيض يتملح فذاك الحمى والداء الذي لادواء له. وبغيض يتبغض فيعذر لانه طبيعة. ومليح يتملح فتلك الحياة الطيبة

حدثنا ابو الحسين قال كنت بتامه(١) من بلاد الهند فسمعتهم يتحدثون ان ملوك الهند يغالون في الافيلة (٢) الحربية على قدر عظم بطشها فربما بلغ الفيل الفاره المنقطع النظير مائة الف دينار ودائماً يبلغ الفيل الواحد منها عشرة آلاف دينار قال فاذا بلغ الملك ان فيلا قد يعرف وله بطش عظيم وانه يصلح للحرب امر بصيده قالوا وليس له حيلة في صيده الا بان يخرج قوم من الفيالين ومعهم فيلة انثى اهلية معلمة فيها افضل خبث(٣) وتأنيث والافيلة فيها من الفطنة امر عظيم قال فيخرج الفيالون وهي معهم الى حيث قد بلغتهم موضعاً يتغرب الفيل فيه فيقاربون الموضع ويلجأون الى موضع يختبئون فيه: (في) (٤) شجرة (٥) عظيمة لايمكن الفيل فيها حيلة او شيء يحفرونه ويغطونه ويدعون الفيلة الانثى ترعى فحين يشم الفيل رائحتها يقصدها وتقصده فتلاعبه وتطاعمه (٦) بخرطومها وتوانسه ولا يبرح من حيث هي

«١» لعلها تانه التي ذكرها حمد الله المستوفي في نزهة القلوب (ص ٢٦٢) والدمشقي (ص ١٧٣) قيل انها بومباي. «٢» م.ع. جمع الفيل أفيال وفيول وفيلة ولايقال افيلة. «٣» م.ع. الظاهر خنث. «٤» بالاصل ما. «٥» م.ع. الظاهر ان الاصل اماشجرة الخ. «٦» م.ع. الاظهر تطاعمه من تطاعمت الحمامتان اذا ادخلا فماً في فم.

ويرعيان في موضع فيّالها (١) والفيالون مختبون شهراً لا يفرقون بينهما فاذا كان بعد شهر اقل (٢) او اكثر على حسب علمهم باستحكام الالفة استدعوا الفيلة في وقت تشاغل الفيل عنهم فيه فتجيئهم فيركبوهـا (٣) فحين يراهم الفيل ويراها يتبعهم فيروم ان يودي (٤) الفيالين فتضع هي خرطومها عليه وتلاعبه وتسرع ويسرع خلفها فاذا رأوه قد ولى ردوها اليه فتلاعبه فيرجع معها فلا يزالون يمشون به خلفها يومين او ثلاثة الى ان يروا منه ضجراً او شدة في اذيتهم فيقفون ليلة في موضع ويهاربون عن ظهرها الى موضع يختبئون فيه فلا يقصدهم الفيل لتشاغله بها ويحرزون انفسهم في المختبأ ويدعونه معها دون تلك المدة ثم يسيرون بها على ذلك الوجه فيتبعها الفيل فيسيرون بها يومين او ثلاثة او حسب ما يمكن الى ان يبدو ضجره فينزلون على رسمهم فلا يزالون كذلك حتى يقربوه من البلد في مدة على حسب بعد المسافة او قربها فاذا بلغوا المدينة اخرج ملكها جميع اهل البلد او اكثرهم وجمعهم وصعد عامتهم على السطوح النساء والصبيان مزينين. فحين يرى الفيل اجتماعهم يستوحش وينفر ويولي ويطلب الصحراء فيرجع فاذا رأى الناس بعر (٥) فيرجع اليه فيرده فلا يزال كذلك معه حتى يدخله بين الناس ويقربه منهم ويقيمونه (٦) الفيالون اياماً كذلك حتى يألف الناس فاذا الفهم امر الملك بجمع

«١» لعله وفيالها. «٢» م.ع. لعله او اقل. «٣» م.ع. الصواب فيركبونها.
«٤» م.ع. لعله يؤذي او يردي. «٥» كذا بالاصل والجملة محرفة.
«٦» م.ع. الظاهر ويقيم

اصحاب الدبادب والطبول والصنوج فحين يسمع ينفر نفوراً شديداً اشد من ذلك ويهرب فتمضي الفيلة خلفه فحين يراها وقد بعد عن الصوت قليلاً يقف لها فتداعبه وترده وتداريه فحين يقرب من الصوت يهرب ثم يرجع معها هذا دأبه معها يفعل به ذلك اياماً متتابعات الى ان يألف الصوت فاذا الف المناظر والاصوات ادخل الفيالون الفيلة الى البلد ويتبعهم الفيل فيجيئون بها الى ساحة كبيرة ممدة لها فيها اربعة اوتاد ساج أثقل مايكون واعظمه متقاربة منصوبة على اساسات شديدة (١) فتدخل الفيلة من بين تلك الاوتاد وتقف فيدخل وراءها ويقف معها فينزل الفيالون وفي اصول تلك الاوتاد حلق عظام وثيقة في كل دقل(٢) حلقة وفيه قيد عظيم ثقيل فيضعون القيد في قائمة من قوائم الفيل فيحصل مقيداً مضبوطاً بين تلك الاوتاد ولا يمكنه قلعها ولا ان يطرح ثقله على شيء ليساوي احرانه (٣) في التقييد اليها فلا يزال على ذلك اياماً والفيلة الى جانبه فاذا مسه الجوع جاءه الفيالون بالارز والسمن المطبوخ فاطمعوه اياه بان يرموا اليه من بعد فللجوع (ما) يأكله ولا يزالون يداورونه ويتقربون منه على تدريج حتى يأكله من ايديهم بعد مدة فاذا اكل من ايديهم فهي العلامة في استئناسه فحين يأكل من ايديهم مراراً كثيرة ويستمر على هذا يركبونه ويضعون الحديد في رأسه

«١» بالاصل اسسات شديد . «٢» م.ع. الدقل صاري السفينة والمراد هنا الوتد المذكور. «٣» كذا بالاصل والجملة محرفة . م ع . الظاهر اجرامه جمع جرم بمعنى الجسم وجمع كأنه صير كل جزء جرماً .

اياماً ويعرونها عليه حتى يألفها ويعلمونه ويكلمونه فاذا مضت ايام على هذا حلوا قيوده وهم فوقه فيمشي ويصرفونه(١) بحسب مايصرفونه عليه ويصير في حكم الاهلي. قال وسمعت ان ملك الصنف (٢) وهو البلد الذي يجيء منه العود الصنفي له الف فيل اذا اخرجت تمتد نحو فرسخ قال وسمعت ان الملك اذا اراد قتل انسان سلمه الى الفيل فيكلمه الفيال في ان يقتله قال فيقتله بالوان من القتل منها انه ربما لف خرطومه على رجل الرجل ويضع احدى يديه على ساق الرجل الاخرى ثم يعتمد عليه فاذا هو قد خرق الرجل بنصفين من اوله الى آخره وربما ترك الرجل واستعرضه بالعرض ثم وضع يده على بطنه فيسحقه قلت انا رأيت بالبصرة في سنة ٣٣٩ فيلاً لطيفاً حمله صاحب عمان الى معز الدولة فاجتاز بالبصرة وحمل الى دارنا فأدخل الى صحننا فرأيناه وسمعت عدداً كثيراً من اهل البصرة يخبرون اذ ذاك ان هذا الفيل اجتاز في سوق الجامع فقرب منه صبي دون البالغ فصاح به الفيالون ليتنحى عن طريق الفيل فدهش الصبي وادركه الفيل فلف خرطومه عليه وشاله فرفعه الى الفيالين فأخذوه منه فصاح الصبي فطار عقله فما ازالوه الا بدراهم وانهم اجتازوا بعد ذلك بايام فادركت الفيل صخرة فقبض على صبي فشاله بخرطومه ورقاه في الهواء ثم استقبله بنابه فادخله في جسمه فقتله.

حدثني ابو الحسين (٣) قال حدثنا الفضل بن باهماد(٤) اني السير بها وكان

«١» م.ع. كذا في الاصل. «٢» م.ع. الصنف موضع في بلاد الهند او الصين. «٣» الفرج بعد الشدة ٢: ١٢٩. «٤» في الفرج هامان.

مشهوراً بسلوك أقاصي بلدان البحر قال قال لي رجل من بعض مياسير (١) بلاد الهند والبيسير هو المولود على ملة الاسلام في بلاد الهند (٢) انه كان في بلد من بلاد الهند وكان فيه الملك حسن السيرة وكان لا يأخذ مواجهة ولا يعطي مواجهة انما يقلب بيده الى وراء ظهره فيأخذ ويعطي بها اعظاما الملك وسنة لهم هناك وانه توفي فوثب رجل على ملكه فاحتوى عليه وهرب ابن كان له يصلح الملك خوفاً على نفسه من المتغلب. ورسوم ملوك الهند ان الرجل اذا قام من مجلسه لاي حاجة عرضت له كان عليه صدرة قد جمع فيها كل نفيس فاخر من اليواقيت والجواهر مضربا بالابريسم في الصدرة ويكون قيمة ذلك ما ان اراد ان يقيم به ملكا قامه . قال ويقولون ليس بملك من قام من مجلسه وليس معه ما ان حدثت عليه حادثة فهرب به امكنه اقامة ملك عظيم منه فلما حدث على الملك تلك الحادثة اخذ ابنه صدرته وهرب بها فحكى عن نفسه انه مشى ثلاثة ايام قال ولم اطعم طعاماً ولم يكن معي فضة ولا ذهب فابتاع به مأكولا وانفت ان استطعم ولم اقدر على اظهار ما معي قال فجلست على قارعة الطريق واذ برجل هندي مقبل على كتفه كارة فحطها وجلس حذائي فقلت اين تريد ؟ فقال الجدام الفلاني ومعنى الجدام

---

(١) في الفرج بياسرة...والبيسر.والارجح ان الكلمة محرفة اصلها مسلمان وكتبها بعض سياحي الافرنج بسرمان. (٢) م ٥ ع . الظاهر انه البياسرة قال في التاج البياسرة جيل بالسند « او بالهند » تستأجرهم النواخذة وهم اهل السفن لمحاربة العدو والواحد بيسري

الرستاق فقلت له هذا الجدام الفلاني اريد فنصطحب قال نعم فطمعت في ان يعرض علي شيئاً من مأكوله قال فحمل السكارة واكل وانا اراه ولم يعرض علي وانفت ان ابتدئه بالسوءال وقام يمشي وقد شدها فمشيت معه وتبعته طمعاً في ان تحمله الانسانية والموانسة والعرض (١) فعمل بالليل معي كما عمل بالنهار قال واصبحنا من غد ومشينا فعاملني بمثل ذلك على هـذا سبعـة ايام لم اذق شيئاً فاصبحت في اليوم الثامن ضعيفاً لاقدرة لي على الحركـة فرأيت جداما في حـاشية الطريق وقوما يبنون وقيما عليهم يأمرهم قال ففارقت الرجل وعدلت الى الوكيل فقلت استعملني باجرة تعطنيها عشياً مثل هوءلاء فقال نعم ناولهم الطين قال فكنت آخذ الطين فلمادة الملك اقلب يدي الى ظهري واعطيهم الطين فكما (٢) أذكر ان ذلك خطأ علي (٣) وسفك دمي ابادر بتلافي ذلك فارد يدي بسرعة قبل ان يفطنوا بي قال فلمحتني امرأة قائمة فاخـبرت سيدها بخبري وقالت لابد ان يكون هذا من اولاد الملوك قال فتقدم عليها (٤) بحبسي عن المضي مع الصناع فحتبستني وانصرف الصنـاع فجاءني بالدهن والمروق لاغتسل بهما وهذه مقدمة اكرامهم وسنة لاعظامهم فتغسلت بذلك فجاءوني بالارز والسمك فطعمت فعرضت المرأة نفسها على التزويج فعقدت عليها ودخلت بها من ليلتي واقمت معها اربع سنين أربا حالها وكانت لها نعمة فانا يوماً جالس على باب دارها فاذا انا برجل من بلدي فاستدعيته فجاءني

«١» لعله على العرض. «٢» لعله كلما. «٣» م.ع. لعل الاصل خطأ مني وسبب لسفك دمي او خطر علي. «٤» لعله تقدم اليها اي امرها.

فقلت له من اين انت؟ قال انا من بلد كذا وكذا وذكر بلدي فقلت ما تصنع ها هنا فقال كان فينا ملك حسن السيرة فمات ووثب على ملكه رجل ليس من اهل بيت الملك وكان للملك الاول ابن يصلح للملك فخاف على نفسه فهرب وان المتغلب اساء عشرة رعيته فوثبوا عليه فقتلوه وانبثثنا في البلدان نطلب ابن ذلك المتوفي لنجلسه مكان ابيه فما نعرف له خبراً قال فقلت له: تعرفني؟ قال لا فقلت انا طلبتكم قال واعطيته العلامات فعلم صحة ماقلت له فكفّر لي قلت اكتم امرنا الى ان ندخل الى الناحية فقال افعل قال فدخلت الى المرأة واخبرتها بالخبر وحدثتها بالصورة وبامري كله واعطيتها الصدرة وقلت فيها كذا ومن حالها كذا وانا ماض مع الرجل فان كان ماذكره صحيحاً فالعلامة ان يجيئك رسولي فيذكرك الصدرة فانهضي معه وان كانت مكيدة كانت الصدرة لك قال ومضى مع الرجل وكان الامر صحيحاً فلما قرب من البلد استقبلوه بالتكفير واجلسوه في الملك وانفذ الى الزوجة من حملها وجاءت فحين اجتمع شمله واستقام ملكه امر فبنيت له دار عظيمة وامر ان لايجتاز في عمله مجتاز الا حمل اليها ويضاف ثلاثة ايام ويزود لثلاثة ايام اخر وكان يفعل ذلك وهو يراعي الرجل الذي استصحبه في سفره ويقدر ان يقع في يده واراد ان يبني الدار شكراً لله تعالى على الخلاص مما كان فيه وان يكفي الناس المؤونة التي كانت لحقته (فلما كان) بعد حول استعرض الناس قال وقد كان يستعرضهم كل شهر فلا يرى الرجل فيصرفهم فلما كان ذلك اليوم رأى الرجل بينهم فحين وقعت

عليه عينه اعطاه ورقة تانبول (١) وهذه علامة غاية الاكرام ونهاية رتبة الاعظام اذا فعله الملك بانسان من رعيته . قال فحين فعل الملك بالرجل ذلك كفر له وقبل الارض فامره الملك بالنهوض ونظر اليه فاذا هو ليس يعرف الملك فامر بتغيير حاله واحسان ضيافته ففعل ثم استدعاه فقال له اتعرفني قال وكيف لااعرف الملك وهو من حاله وعظم شانه وعلو سلطانه (بحيث هو) قال لم ارد هذا أتعرفني من قبل هذه الحال قال لا قال فاذكره الملك الحديث والقصة في منعه الطعام سبعة ايام في السفر قال فبهت الرجل وقال ردوه الى الدار ونسوه (٢) وزاد في اكرامه وحضر الطعام فاطعم الرجل فلما اراد النوم قال الملك لامرأته امضي فغمزيه (٣) حتى ينام قال فجاءت المرأة ولم تزل تغمزه الى ان نام فجاءت الى الملك وقالت قد نام فقال ليس هذا نوما حركوه فانه ميت (٤) قال فقالت له المرأة ايش هذا قال فساق اليها حديثه معه وقال وقع في يدي فتناهيت في اكرامه والهند لهم كبود عظام وتوهمهم هو المعروف المتعالم عنهم فدخل عليه حسرة عظيمة اذ لم يحسن الي ذلك الوقت فقتلته الحسرة وقد كنت أتوقع موته قبل هذا مما تتوهمه واستشعره من العلة في نفسه والحسرة والاسف فقتلته

« للبحث صلة »

«١» م.ع. التانبول يقال له التامول وهو نبت طيب الريح ينبت نبات اللوبياء طعمه طعم القرنفل يمضغ فيطيب النكهة. «٢» م. ع الظاهر وآنسوه «٣» م.ع الصواب فاغمزيه «٤» في الفرج : فحركوه واذا هو ميت

رسالة الكرم

— ٣ —

ويقال أفصد الشجر وانفصد : انشقت عيون ورقه وبدت أطرافه ·
وفي اللسان السَّفير ماسقط من ورق الشجر وتحاتَّ ومما سقط من ورق العشب ·
وقال الخطيب : ويقال قد حبب عقد قضبانه في مطلع العناقيد فاذا استدار قيل فلك فاذا طلع قيل نجم ثم يقال قد اورق واعنم ·

« ورق الكرم وتوريقه »

الورق [١] من الشجر كل ما تبسط تبسطاً وكان له عَيْر [٢] في وسطه تنتشر عنه حاشيتاه · واحدته ورقة والجمع اوراق ·

أورق الشجر ايراقاً وورق يرق كوعد يعد وورق توريقاً خرج ورقه وقال ابو حنيفة ظهر ورقه تاماً واورق بالالف اكثر ·

وفي اللسان · ورقت الشجرة توريقاً وأورقت ايراقاً أخرجت ورقها واورق اي خرج ورقه · والوراق بالكسر ككتاب · الوقت الذي يورق فيه الشجر · والوَراق بالفتح كسحاب خضرة الارض من الحشيش وليس من الورق اي ورق الارض · وقال ابو حنيفة هو ان تطرد الخضرة لعينك قال أوس بن حجر وقيل ابن زهير يصف جيشاً بالكثرة :

كأن جيادهن برعن زُمٍّ جراد قد اطاع له الوَراق

وشجرة وارقة وورِيقة وورقة [٣] كثيرة الورق او خضراء حسنة الورق · و يقال ورَقت الشجرة ورقاً · ألقت ورقها · وورَق الشجرة يَرِقُها وَرْقاً أخذ ورقها فهي مورقة · وفرع وريق كثير الورق ·

و يقال في القوس ورقة اي عيب وهو مخرج الغصن اذا كان خفياً فاذا زادت فهي الأُبنة فاذا زادت فهي السخية هكذا في التاج وفي اللسان فهي السعسه هكذا بغير نقط ولم نجد للسخية معنىً ملائماً ولعلها محرفة عن الشجنة وهي الشعبة من كل شيء · وفي المخصص فان

(١) في اللسان الرِقّ ورق الشجر · (٢) عير الورقة الخط الناتئ في وسطها كأنه جُدَيْر و كل ناتئ في وسط مستوٍ فهو «عير» · (٣) على النسب لانه لا فعل له ·

كانت اخفى من الأبنة فهي أرْفة · وفي التاج الأرفة العقدة ·

الخلْب · ورق الكرم العريض ونحوه وهو بكسر الخاء على ماتقتضيه عبارة القاموس والتاج وقد ضبط بالشكل بضم الخاء في عبارة اللسان والمخصص · ومبادي اللغة للاسكافي وضبط بالشكل في اللسان في مادة (غلفق) بضم الخاء وتشديد اللام ·

الغلفق كجعفر ورق الكرم مادام على شجره ·

الجَفْنة ورق الكرم عن ابن سيده ·

الغار ورق الكرم وبه فسر بعضهم قول الاخطل :

آلت الى النصف من كلفاء أتأفها[1] علج ولثمها بالجفن والغار

ويقال أغلى الكرمَ خفف من ورقه ليجود ويرتفع · وكل ماارتفع فقد غلا وتغالى ·

والغَمْل ان يحت عنب الكرم فيخففوا من ورقه فيلتقطوه وفي المخصص الغمل ان يُخَف حمل الكرم ·

« قضبان الكرم »

القضيب · الغصن · وكل نبت من الاغصان يقضب والجمع قُضُب وقُضْب وقُضبان وقِضبان الأخيرة اسم للجمع ·

السَرْع بالفتح وبكسر قضيب الكرم الغض لسنته والجمع سُروع وهي تسرُع سروعًا وهن سوارع والواحدة سارعة · وفي المخصص وهي السوارع ما دامت عيونها تقودها وفي التهذيب والسِرْع اسم القضيب من ذلك خاصة ·

السَرَعْرَع · القضيب مادام رطبًا غضًا طريًا لسنته والانثى سَرَعْرَعة · قال في اللسان : وكل قضيب رطب سَرْع ومرعرع ·

والأساريع شكر تخرج في اصل الحبلة · والأساريع[2] التي يتعلق بها العنب

(١) هكذا رواه صاحبا اللسان والتاج ولم نجد معنى لاتاف ولا ذكرا فيهما ولعلها أتأقها اي ملأها من قولهم أتأقت السقاء اي ملأته · والكلفاء الخمر سميت بذلك للونها وهي التي تشتد حمرتها حتى تضرب الى السواد

(٢) هكذا في اللسان وفي التاج وهي التي يتعلق الخ · وفي الأصمعي والذي يتعلق به العنب

وربما اكلت وهي رطبة حامضة . الواحد أُسْرُوع .

السَرْغ . قضيب الكرم الرطب جمعه سُرُوغ قال الازهري والسرغ بالغين المعجمة لغة في السرع بمعنى القضيب الرطب . وسَرِغ الرجل كفرح اذا أكل القطوف من العنب باصولها . ورواه الليث بالعين المهملة .

النَّفَض قضبان الكرم بعدما ينفو ورقه وقبل ان تتعلق حوالقه[1] وهو أغض مايكون وارخصه وقد انتفض الكرم عند ذلك . واحدته نَفَضة . ونَفَضُ الشجرة حين تنتفض ثمرتها .

والنَفَض ماتساقط من غير نَفْض في اصول الشجر من انواع الثمر . وفي اللسان والنَفَض اغض مايكون من قضبان الكرم .

وفيه ايضاً والنَفَض بالتحريك ماتساقط من الورق والثمر وهو فَعَل بمعنى مفعول . والنُفاضة والنُفاض بالضم[2] ماسقط من الشيء اذا نفضته اي حركته . والمِنفض وعاء ينفض فيه الثمر .

والنِفاض بساط ينحت عليه ورق الثمر وغيره وذلك ان يبسط له ثوب ثم يخبط بالعصا فذلك الثوب نفاض والجمع نفض بضمتين وما انتفض عليه من الورق يقال له نِفاض وانفوضة والجمع انافيض . الزمخشري الانافيض ماتساقط من الثمر في اصول الشجر .

العُسْلُج والعُسْلوج مالان واخضر من قضبان الشجر والكرم اول ماينبت و يقال العساليج عروق الشجر وهي نجومها التي تنجم من سنتها . ابن سيده : العُسْلُج والعُسْلوج والعِسْلاج الغصن لسنته وقيل هو كل قضيب حديث وقيل العسلاج الغصن اذا يبس وذهبت طراوته . وعسلجت الشجرة اخرجت العسلوج .

النامية من الكرم القضيب الذي عليه العناقيد . وقيل هو عين الكرم الذي يتشقق بالثمر يسمى الاساريع . واساريع العنب شكر تخرج في اصل الحبلة وربما اكلت رطبة حامضة . وفي المخصص الاساريع معاليق العنب في الكرم وربما اكلت الخ .

(١) في مبادي اللغة خوالفه والصواب ماذكرنا .

(٢) في التاج ان النفاض يجوز فيه الكسر .

عن ورقه وحبه وقد أنمى الكرم · قال المفضل يقال للكرمة انها لكثيرة النوامي وهي الاغصان واحدتها نامية واذا كانت الكرمة كثيرة النوامي فهي عاطبة [1] · الأصمعي فاذا صارت لها قضبان قيل انمى · ويقال ما احسن نواميه · وقال الحجنة والنامية شعب الشكير · وفي المخصص اذا نبت الشكير ثم شعب فتلك الشعب النوامي · وانمى الكرم صار له قضبان ·

ويقال استظل الكرم اذا التفت نواميه وتظلل مثله ·

الحَالِق من الكرم ونحوه ماالتوى منه وتعلق بالقضبان · وفي المخصص ويقال لخيوطه الكرم التي تتعلق بها من الشجر الحالق وكذلك الحالق وفي اللسان والحالق والحالبق ماتعلق بالقضبان من تعاريش الكرم · قال الازهري كل ذلك مأخوذ من استدارته كالحلقة [2]

الإطار ككتاب : قضبان الكرم تلوى للتعريش ·

العَقْش [3] : أطراف قضبان الكرم ·

العنَم : محركة خيوط يتعلق بها الكرم في تعاريشه واحدتها عنمة محركة ·

العَرْدم والعِرْدام : العذق الذي فيه الشماريخ واصله في النخلة كذا في اللسان · وفي التاج العود الذي فيه الشماريخ نقله الجوهري عن ابي عبيد ·

الأُظفور بالضم : الدقيق الذي يلتوي على قضيب الكرم · وقال ابو حيان جمع خيوط تلتوي على قضبان الكرم ·

العرجون : اصل عود العنقود وهو من العنب عرجون صغير وفي المخصص ويقال لاصل عود العنقود العرجون كما يقال في الكباسة ·

---

(١) هكذا رواية اللسان والتاج وهي خطأ والصواب غاطيـة من قولهم غطت الشجرة اذا طالت أغصانها وانبسطت على الارض فألبست ما حولها ·

(٢) والحَالِق شجر ينبت نبات الكرم و يرتقي في الشجر وله ورق شبيه بورق العنب حامض يطبخ به اللحم وله عناقيد صغار كعناقيد العنب البري الذي يخضر ثم يسود فيكون مراً ويؤخذ ورقه ويطبخ و يجعل ماؤه في العصفر فيكون أجود له من حب الرمان واحدته حالقة · (٣) وفي التاج والقعش والعقش أطراف الخ ·

العرجود كزنبور اصل المذق من التمر والعنب حتى يقطفا . الاصمعي العرجود اصل المذق وهو الاهان . وهو من العنب عرجود صغير فلا يزال عرجوداً حتى يقطع عنبه وفي اللسان والعرجود العرجون وهو من العنب عرجون صغير قال ابن الاعرابي هو العُرجُدُ والعُرْجُدُ والعرجود لعرجون النخل .

الإهان عرجون الثمرة والجمع آهِنَة وأُهُن وعن الليث هو العرجون يعني مافوق الشماريخ و يجمع أُهُنا والعدد ثلاثة آهنة . وفي اللسان العُرْهون والعرجون والعُرْجُد كله الاهان .

الحجَن : القضبان القصار التي فيها العنب واحدتها حَجَنَة .

العِطفة بالكسر : أطراف الكرم المتعلقة منه . والعطفة بالكسر والفتح شجرة تتعلق الحبلة بها ويقال لها العَصْبة والعَصَبة محركة و بالضم والجمع عصْب وعصَب وعُصَب وهي اللبلاب .

وقال الأصمعي وتلك التي تعلق بهـا الحبلة بالشجر تسمى العِطْفة وقال ونحن نسميها عَطْفة ونقل في اللسان عن النضر انها عطَف واحدتها عطَفة .

وفي المخصص ويقال لخيوطة الكرم التي تتعلق بها من الشجر الحالق صاحب العين وكذلك الحالق . ابوحنيفة والعِطْفة مثله وهو كذلك من كل ماأشبه الكرم .

الرُّعْل : الأطراف الغضة من الكرم الواحدة رُعْلة وقد رعّل الكرم .

الغصن : ماتشعب عن ساق الشجرة دقاقها وغلاظها والجمع أغصان وغصون وغِصَنَة والغُصْنة الشعبة الصغيرة منه وجمعها غُصَن . وغصَن الغصن يغْصِنه قطعه وأخذه .

وفي اللسان القَطيع الغصن تقطعه من الشجرة والجمع أقطِعة وقُطُع وقُطْعات وأقاطيع كحديث وأحاديث والقِطْع من الشجر كالقطيع والجمع أقطاع . وأقطعته قضباناً من الكرم اي اذنت له في قطعها .

الشعبة : الغصن ومن الشجر ماتفرق من أغصانها والجمع شُعَب . وشعب الغصن أطرافه . وقيل مابين كل غصنين شعبة والشعبة الطائفة من الشيئ ويقال شعب من العنقود شعبة اي قطعها منه . وفي يده شعبة من مال اي قطعة وطائفة منه .

ويقال أغلى الكرمُ . اذا التف ورقه و كثرت نواميه وطالت وفي المخصص واذا التف

ورق الكرم و كثرت نواميه وطالت قالوا قد أغلى وغلا واغلولى وأغطى بغطى وكذلك غيره من الشجر والنبات . وفي اللسان غطت الشجرة وأغطت طالت أغصانها وانبسطت على الارض فألبست ما حولها وقوله أنشده ابن قتيبة .

ومن تعاجيب[1] خلق الله غاطية يعصر منهـا ملاحي وغربيب

انما عني به الدالية لسموها و بسوقهـا وانتشارها والباسها . المفضل يقال للكرمة الكثيرة النوامي غاطية .

عِقّان الكرم والنخيل ما يخرج من اصولها واذا لم نقطع العقـان فسدت الاصول وقد أعقت النخلة والكرمة أخرجت عقانها .

القِثْرِد كزبرج الغثاء اليابس في اصل الكرم . وفي قعر العين .

« للبحث صلة » عضو المجمع العلمي

سليم الجندي

(١) التعاجيب العجائب لا واحد لها من لفظها .

آراء وافكار

حول تصحيح الجزء السابع
« من كتاب نهاية الأرب »
— ٣ —

(٢٥) — وجاء في ص ٢٢٥ س ١٤ من كلام عمر ايضاً الى علي رضي الله عنهما (فتود لو ان سقيت بالكأس التي أبيتها ورددت الى حالتك التي استغويتها) الخ . يقول الاستاذ : (انه لا معنى للاستغواء هنا) ونقول : ان المعنى ظاهر لاخفاء فيه فان عمر يريد بهذا الكلام ان يقول لعلي رضي الله عنهما : اذا صار الامر اليك وتبينت الطمع من أتباعك والغش في النصيحة من بطانتك ندمت على مخالفتك لابي بكر وتمنيت ان لو رجعت الى الحالة التي استغويتها اي التي كنت تعدها قبل ذلك ضلالاً وغياً وهي الدخول فيما دخل فيه المسلمون من بيعة ابي بكر ، هذا ما فهمناه من كلام عمر رضي الله تعالى عنه ومن قوله : « استغويتها » وإذن فلا موجب لتغييره برواية أخرى من الروايات .

(٢٦) — وجاء في ص ٢٤٠ س ١١ من كلام لأحنف بن قيس لعمر رضي الله تعالى عنهما حين وفد عليه في وفد العراق : (فان كل امرئ انما يجمع في وعائه الا الأقل ممن عسى ان تقتحمه الأعين فلا يوفد اليك) الخ . يريد بهذه العبارة ان كل امرئ انما يدخر لنفسه ويجمع المال في خزائنه لخاصته الا الاقل ، اي الا الأصغر في المكانة والمنزلة من الذين تقتحمهم الأعين اي تتخطاهم لصغر شأنهم فلا يوفدون اليك لترفع مايثقلهم من المظالم وتجبر بالاحسان اليهم مالحقهم من فقر وخصاصة . هذا مافهمناه من كلام الأحنف ويرى الأستاذ ان « الا » في قوله : « الا الأقل » زائدة يجب إسقاطها وجعل العبارة انما يجمع وعائه الأقل وقد ظهر مما بيناه ان لهذه الكلمة فائدة في الجملة بل لا يستقيم الكلام بدونها .

(٢٧) — وجاء في ص ٢٤١ س٣ من كلام أم الخير لمعاوية حين سألها عن خطبتها في جيش علي بن ابي طالب يوم صفين قالت لم اكن والله زورته قبل ولا رويته بعد وانما

كانت كلمات نفثهن لساني حين الصدمة) الخ . يقال : زوّر الخطبة اذا هيأها في نفسه قبل إلقائها وتريد بقولها : (ولا رويته بعد) انها لم تحفظ هذا الكلام بعد الانتهاء منه وهذا هو الجواب الذي يطابق سؤال معاوية حين قال لها : (كيف كان كلامك يوم قتل عمار بن ياسر) ويقول الاستاذ ان الأصوب ان تضبط الواو بالتشديد في قولها «روّيته» وذلك لان الاستاذ يرى ان قولها (ولا رويته) ليس من الرواية وهي الحفظ وانما هو من قولهم روّأته مهموزاً يقال : (روّأ في الامر وروّى فيه بتشديد الواو اذا نظر فيه وتأمل ومنه الروية) الخ . ونقول : انه يمنع من حمل الكلام على هذا المعنى قولها : (بعد) فان البعدية تقتضي حمل قولها : « ولا رويته » على معنى الرواية ، اي الحفظ واما التروّي في الكلام انما يكون قبله لا بعده على ان قولها فيما سبق : « لم أكن زوّرته » كاف في هذا المعنى فلا موجب إذن لتكرير المعنى بالعبارة الثانية وإذن فلا مندوحة من حمل قولها : « رويته » على معنى الرواية .

(٢٨) — وجاء في ص ٢٥٤ س٣ : (فما الذي يبرد غليلك و يشفي إجاج صدرك) اه وقد كتبنا على كلمة (إجاج) في حاشية الكتاب انه جمع إجة بمعنى شدة الحر وتوهجه اه . و يقول الاستاذ اعتراضاً على هذا التفسير (ان استعمالها مجازاً في معنى حرارة الصدر غيظاً قليل الورود في كلام البلغاء ، واستدل على ذلك بان الزمخشري في أساس البلاغة لم يشر اليه) اه . ونقول : ان الزمخشري لم يحط في كتابه اساس البلاغة بجميع الألفاظ المجازية المستعملة في كلام العرب بل نقول : ان أمهات اللغة لم تحط بذلك . و يدل على ذلك ايضاً قول الزمخشري عند ذكر المجازات في كل مادة (ومن المجاز) بمن التي تدل على التبعيض وان ما يذكره انما هو بعض المجازات لا كلها على ان علماء الوضع قد ذكروا في كتبهم ان الفاظ المجاز موضوعة بالوضع النوعي وهو الوضع العام وليست موضوعة بالوضع الشخصي وهو الوضع الخاص اي وضع كل كلمة على حدتها للمعنى المجازي الا على رأي القليل منهم .

(٢٩) — وجاء في ص ٢٦٠ س٥ : (من ذلك ما كتب به عبد الحميد بن يحيى بالوصاة على انسان) الخ . يقول الاستاذ : صوابه بانسان ، لان (أوصى) يتعدى بالباء لا بعلى) اه . ونقول : ان هذا الخاطر قد عرض لنا عند تصحيحنا لهذه العبارة غير اننا

وجدنا انه من المستبعد جداً ان يغلط الناسخ في الباء فيحرفها الى قوله : (على) للفرق البعيد بين الكلمتين وإذن نقول (على انسان) من كلام المؤلف لا من غلط الناسخ وهذا التعبير شائع في كلام المتأخرين فيقولون (أوصيت عليه) ولهذا التعبير وجه حسن لا تنكره اللغة فانهم يريدون أوصيت عليه بكذا فمتعدي أوصى محذوف للعلم به ولفظ (على) في هذه العبارة معناه التعليل ، اي أوصيت لاجله وليس للتعدية كما فهم الاستاذ ومنه قول احد الشعراء في خريدة القصر لعماد الدين الاصفهاني :

رجوت ابا صالح للنـدا فلم يغن عني رجائي بشي

ولم استفد بعد طول الرجا سوى وعده ان سيوصي علي

والحق انه كان ينبغي ان ننبه الى ذلك في حاشية الكتاب كما نبهنا الى غيره .

(٣٠) = وجاء في صفحة ٢٦٦ س ١٠ من كلام ابن العميد : (في ظل ظليل ونسيم عليل وريح بليل وهواء ندي) الخ . قال الاستاذ لعل صوابه (وهواء عذي) بالعين المهملة والذال المعجمة والياء المخففة وتشدد اي طيب . وقال : واكثر استعماله في المكان يقال (ارض عذية كما نقول نحن طيبة المناخ) اهـ . ونقول ان وصف الهواء بانه ندي بتشديد الياء أقرب الى أسلوب ابن العميد وأشباهه من الكتّاب واكثر ملاءمة لسياق الرسالة لسهولة لفظها وقرب معناها وانسجامها مع بقية ألفاظ هذه الرسالة وانها مألوفة في الاستعمال ووصف الهواء بها بخلاف كلمة (عذي) فانه لفظ غريب لم يعهد استعماله في رسائل الكتّاب امثال ابن العميد كما انه لم يعرف ان احداً وصف الهواء به .

(٣١) = وجاء في صفحة ٢٦٧ س ١٣ من كلام الصاحب ابن عباد يمدح شخصاً : (أم من يرغب عن مكاثرة بمن ينسب الربيع الى خلقه) اهـ . وقد استصوب الاستاذ حذف الباء من قوله (بمن) وقال (ان فعل كاثر يتعدى بنفسه) فصواب العبارة إذن (عن مكاثرة من) الخ ماقال . ونقول ان معنى المكاثرة هنا المغالبة والمفاخرة بالكثرة ولا ينبغي حملها على غير هذا المعنى في مثل هذا التركيب الا على ضرب من التكلف البعيد ولا مراء بان المكاثرة بهذا المعنى تتعدى الى المفعول بنفسها لا بالباء غير ان الباء في هذه العبارة ليست للتعدية كما فهم الاستاذ ولكنها للظرفية على حد معناها في قولهم (فاخر فلان

فلاناً بعلمه) وطاوله بمجده ، اي في علمه وفي مجده مثلاً وإذن فمفعول المكاثرة محذوف للعلم به ؛ والاصل عن مكاثرة المنافسين بمن ينسب اليه الخ فلو حذفت البـاء وجعلت (من) في موضع المفعول لكان الكلام ذماً لا مدحاً كأن الكاتب يريد ان يفاخر المكتوب اليه ويغالبه كما هو ظاهر مع انه يريد ان يقول : من ذا الذي لا يود ان يكاثر خصومه ويفاخرهم بصحبة شخص تنسب نضـارة الربيع ومحاسنه الى محاسن خلاله وطيب شيمه ، كأن الكاتب يقول ان هذا الممدوح وان كان واحداً في نفسه الا انه كثير في نفعه وغنائه حتى ان من صاحبه اذا كاثر الخصوم بصحبته غلبهم في الكثرة وإذن فلا مندوحة من اثبات الباء في قوله (بمن) الخ .

(٣٢) — وجاء في صفحة ٢٨٠ س٦ قوله في رسالة ابن زيدون (وأظهر وأضمر ، وابتدأ وأخبر ، واستفهم وأهمل وقيد ، وأرسل وأسند) اهـ . يقول الاستاذ : الصواب اسقاط لفظ (واستفهم) واحتج لذلك بطول السجعة به . وان ذلك مخـالف لاصول السجع اهـ . ونقول ان مجرد طول السجعة عما قبلها اوما بعدها لا يسوغ لنا مجال اسقاط كلمة من الاصل فقد قدمنا ان اسقاط كلمة من الاصل امر خطير لا ينبغي للمصحح الامين ان يرتكبه الا عند الضرورة الشديدة كفساد المعنى بها ، او تأكد زيادتها في الجملة ، اوغيرذلك من الضرورات ولسنا نرى ان طول السجعة عن سابقتها او لاحقتها من الضرورات الموجبة لتقصيرها بحذف بعض كلماتها ما دام المعنى صحيحاً والغرض مستقيماً .

(٣٣) — وجاء في صفحة ٢٨١ س٩ (فكدمت غير مكدم ونفخت في غير فحم) الخ . وقوله (في غير فحم) اي في غير نار فأطلق الفحم هنا وأراد النار اطلاقاً مجازياً لان النار تحل في الفحم وتشتعل به والقرينة هنا تعين ذلك وهذا كما يقال (عذبه بالتنور) اي بالنار التي فيه وإذن فلا مقتضى لتغيير كلمة (فحم) بـ (ضرم) كما رآه الاستاذ ونقله عن نسخته (سرح العيون في شرح رسالة ابن زيدون) ما دامت الرواية ظاهرة الصحة كما بينا ، ولا سيما اذا عرفنا ان البعد عظيم بين الكلمتين في رسم الحروف بحيث لا يمكننا ان نحكم بان احداهما محرفة عن الاخرى ، وليكن ما في سرح العيون رواية ثانية في العبارة اذ لا مانع من تعدد الروايات . واما قول الاستاذ (ان النفخ في الفحم لا يوري ناراً بخلاف النفخ في الضرم فهذا انما يصح اذا أريد بالفحم معناه الحقيقي قبل اشتعال النـار

فيه اما وقد ظهر ان المراد به النار المشتعلة فيه كما تعينه القرينة فلا مجال لاحتجاج الاستاذ بما احتج به .

(٣٤) — وجاء في صفحة ٢٨٧ س٦ من كلام ابن زيدون ايضاً (وان كنت انما بلغت قعر تابوتك وتجافيت القميصك عن بعض قوتك) اه . قال الأستاذ (قوله : «القميصك» يجب اسقاطها لعدم الحاجة اليها ولظهور حشوها وهي غير موجودة في سرح العيون المطبوع في المطبعة المليجية) اه . ونقول : قوله (القميصك) يجب اثباتها لا اسقاطها لظهور فائدتها في الجملة ولعدم استقامة العبارة بدونها فان مراد ابن زيدون بهذا الكلام ان يتهكم بهذا الرجل الذي يخاطبه فهو يقول له : انك توفر من قوتك الذي به قوام حياتك ، وتجافى عن بعضه لتحسن ملبسك بما توفره ، وتجمل ثيابك بما تقتطعه من قوتك لتخدع الناس بجمال منظرك ، ولا يدرون ان تحت ذلك الحسن الظاهري الجوع والطوى وهذا نهاية في التهكم والسخرية .

(٣٥) — وجاء في ص ٢٨٨ س ١ من كلام ابن زيدون ايضاً : (وقلدك عمرو بالصمصامة) الخ . يقول الاستاذ صوابه (وقلدك عمرو الصمصامة) باسقاط الباء واحتج لذلك (بان فعل قلد يتعدى بنفسه لا بالباء) اه . واقول رأيت في عبارة بعض اللغويين ما يفيد ان فعل قلد يتعدى بالباء كما يتعدى بنفسه فقد جاء في اللسان ج٤ ص٣٦٨ في تفسير حديث « قلدوا الخيل ولا تقلدوها الأوتار » ما نصه : (انما نهاهم عنها لانهم كانوا يعتقدون ان تقليد الخيل بالأوتار يدفع عنها العين والاذى) اه . ففي هذه العبارة ما يفيد ان تعدية (قلد) بالباء جائزة فانه قال (بالأوتار) باثبات الباء .

(٣٦) — وجاء في ص٣١٨ س٦ من كلام ابي حفص عمر بن برد الاصغر الاندلسي يعاتب بعض اخوانه (فإما ان تبهرني بحجة فأنتصل عندك ، واما ان تفي بحقيقة فأستديم خائك ، واما ان تأزم على يأسك فأقطع حبلي منك) اه . فأنت ترى من هذه العبارة ان الكاتب قد خير صاحبه بين ثلاثة امور : اولها يقول له : اما ان تأتيني ببرهان على خطئي فاعتذر اليك ، وهذا معنى قوله (فاما ان تبهرني بحجة فأنتصل عندك) ، ثانيها يقول له واما ان تكون وفياً بحق فأستديم إخاءك ، وهذا معنى قوله (واما ان تفي بحقيقة فأستديم خائك) ، ثالثها يقول له (واما ان تأزم على يأسك) اي واما ان تواظب وتدأب على

اليأس الذي عندك وقطع الرجاء في مراجعة ما سلف من عهد الأُخوة فأْيأَسَ انا منك وأقطع حبل المواصلة بيني وبينك ، وإذن فالتقسيم ظاهر مستقيم لا خفاء فيه ولا موجب لتغيير لفظ (يأسك) بكلمة (فأسك) بالفـاء كما رآه الاستاذ ، واما قوله (ان هذا ليس من جنس كلام البلغاء) فاننا لم نتبين وجهاً لذلك مع استقامة المعنى وظهور الغرض .

مصححه

احمد الزين

تصحيح قصة

الحكاية التي نقلها الاستاذ الشيخ كامل الغزي عن لسان الامير أُسامة بن منقذ التي تفيد اجتماعه بابي العلاء المعري وهو صبي في انطاكية وامتحانه لقوة ذاكرته — نسبتها الى الامير الومااليه ليست بصواب واعتراض الدكتور فيليب حتي (مجلة المجمع ج٥ ص ٣١٧) بان بينهما قرناً كاملاً والواحد منهما لم يعاصر الآخر هو في محله .

وقد ذكر القصة على الصواب المؤرخ الكبير ابن العديم في كتابه (الانصاف والتحري في دفع الظلم والتجري عن ابي العلاء المعري) الذي نشرته على نقص فيه في تاريخي الكبير (اعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء ج٤ ص٧٨) والقصة مذكورة في ص١٣٥ ونصها: وقفت على كتاب سيرة بعض الرؤساء بحلب وضعه الشريف ابو علي المظفر بن الفضل بن يحيى العلوي الاسحاقي الحسيني نزيل بغداد وهو من ولد الشريف ابي ابراهيم العلوي الحراني واصله من حلب وكان ابوه حاجب الباب ببغداد ورد هذا الشريف علينا حلب زائراً اهله بها فذكر فيه قال حدثني والدي رضي الله عنه وارضاه يرفعه الى ابن منقذ قال كان بانطاكية خزانة كتب الخ .

وبعد ان ذكر القصة استبعد ان تكون واقعة في انطاكية لاسباب ذكرها (ثم قال) ويحتمل عندي ان يكون هذا بكفر طاب فقد كانت كفرطاب مشحونة باهل العلم وكان بها من يقرأ الادب و يشتغل به قبل ان يهاجمها الافرنج في سنة ثنتين وتسعين واربعمائة وكانت لابي المتوج مقلد بن نصر بن منقذ في ايام ابي العلاء فلعله تصحف كفرطاب بانطاكية

وتصحيفها غيرمستبعد فان كان كذلك فابن منقذ الحاكي لهذه الحكاية هو ابوالمتوج مقلد ابن نصر بن منقذ وابوه نصر وكفرطاب قريبة من معرة النعمان ويحتمل ان ذلك كان بحلب فان اباالعلاء دخل حلب وهو صبي واجتمع بمحمد بن عبدالله بن سعدالنحوي ورد عليه خطأه في شعرالمتنبي على ماذكرناه في ذكر شيوخه الذين اخذ عنهم فيحتمل ان هذه الحكاية التي حكاها ابن منقذ كان بحلب وابو المتوج بن منقذ كان بحلب وله بها دار ومنزل وكان بها خزانة كتب في الشرفية التي بجامع حلب في موضع خزانة الكتب اليوم الخ .

وابوالمتوج مقلد بن نصر له ترجمة في تاريخي في هذا الجزء (ص ١٨٠) نقلتها عن تاريخ ابن خلكان ووفاته سنة ٤٥٠ بحلب وحمل الى كفرطاب فتكون وفاته بعد وفاة ابي العلاء بسنة فاجتماعه به محقق ولعل الاستاذ الغزي عاق ذلك من ذاكرته فكتب في المقالة أسامة بن منقذ بدل ابي المتوج مقلد بن نصر بن منقذ فوقع بهذا الخطأ وجل من لا يسهو .

عضو المجمع العلمي العربي

محمد راغب الطباخ

من نوادر المخطوطات
« في دار الكتب الظاهرية »
— ٣ —

نظم الدرر في تناسب الآيات والسور — المشهور بمناسبات البقاعي : لبرهان الدين ابي اسحاق بن عمر البقاعي الدمشقي المولود سنة ٨٠٩ والمتوفى بدمشق في شهر رجب سنة ٨٨٥ . اوله الحمد لله الذي أنزل الكتاب متناسباً سوره وآياته ، متشابهاً فواصله وغاياته .

قال صاحب كشف الظنون : وهو كتاب لم يسبقه اليه احد جمع فيه من أسرار القرآن ماتتحيرفيه العقول وذكر في آخره انه فرغ منه في سابع شعبان سنة ٨٨٥ وكان ابتداؤه في شهر شعبان سنة ٨٦١ فمكث في تأليفه اربعاً وعشرين سنة ثم قال مؤلفه في تفسيره

هذا . اني بعدما توغلت فيه واستقامت لي مبانيه ووصلت الى قريب من نصفه فبالغ الفضلاء في وصفه بحسن سبكه وغزارة معانيه واحكام وصفه ، دب داء الحسد في جماعة اولي نكد ومكر فنصبوا من سهام الشرور والأباطيل وأنواع الزور ما كثر بسببه الوقائع وطال الامر في ذلك سنين وعم الكرب ، وصنفت بسبب ذلك كتابي (مصاعد النظر في الاشراف على مقاصد السوَر) ثم صنفت (الأقوال القويمة في حكم النقل من الكتب القديمة) وثبت الله تعالى ورزق الصبر والاناة حتى كمل هذا الكتاب اه منه نسخة كاملة في خمس مجلدات وفي المجلد الاول خط المؤلف أجاز لكاتبه وناسخه خليل الذهبي المقري فرغ من نسخه سنة ٨٨٥ (رقم ١٣٩ — ١٤٥ التفسير) .

اللباب في علوم الكتاب — تأليف ابي حفص عمر بن عادل الحنبلي الدمشقي من علماء القرن التاسع الهجري : وهو تفسير جليل وطريقته فيه ان يقول عند ذكر الآية قوله تعالى كذا ، ثم يشرع في تفسير الآية مبيناً سبب النزول والنسخ واوجه الاعراب وغير ذلك ، وهو في ست مجلدات كبار كل مجلد نحو (١٠٠٠) صحيفة كتب سنة ١٠٦٥ هـ بخط نفيس (رقم ١٨ — ٢٣ التفسير)

حسني الكسم

مطبوعات حديثة

المتنبي

« تأليف السيد شفيق جبري ص ٢١٠ طبع بمطبعة ابن زيدون في دمشق »

« سنة ١٣٤٩ — ١٩٣٠ »

عرف قراء هذه المجلة مبلغ الاجادة في كلام الاستاذ جبري على المتنبي مما نشر فيها من المحاضرات التي القاها في كلية الآداب بدمشق في السنة الدرسية المنصرمة . ووقفوا ولا شك في أسلوبه الدقيق وعنايته في التحقيق على شيء من التجدد الجميل مما لم يكد يجري به غير عدد قليل من أقلام الباحثين من المعاصرين في أدبنا العربي .

واستفاد محاضروه من مجالسه في الكتابة اموراً في الأدب كان عنها الباحثون من القدماء بمعزل . هذا ان صح ان نحكم عليهم حكماً مسمطاً بالنظر الى جملة ماانتهى الينا من اسفارهم واخبارهم . وماهيأت الاجادة للاستاذ الباحث الا لمعاناته الادب الافرنسي كما عانى الأدب العربي فرأى بنفسه ماينقص هذا من صور البحث ليكون ادب العرب على سمته وجماله زائداً في الامتاع والافادة ويخرج عما يرميه به خصومه ممن تذوقوا الادب الافرنجي فقط من وصمه بانه ادب جامد لاروح فيه ولاحياة ، وأداة مختلة التراكيب قلما ينتفع بها في التأثير بالعقول والمجتمعات . ولقد رأينا المؤلف في دروسه الطريقة التي جوّد القاءها ايضاً على أساليب البلغاء يأتي في تحليل شعر المتنبي اوشك معه ان لا يترك بعده خاطراً في النفس ، يصوره لتلاميذه في كل مظاهره تصوير شاعر ماهر . ولاعجب ان كان في كلامه على المتنبي شاعراً فهو شاعر محسن . والثوب لايلمح جودة نسيجه غير النساج الحاذق . والمتنبي (مالئ الدنيا وشاغل الناس) كما قال فيه احد واصفيه لم يرزق شاعر من الحظوة مارزقه ، ولاخدم العلماء والادباء ديواناً من دواوين العرب بمثل ماخدم به ديوانه . ومن تمام حظ المتنبي الذي اثر في الناس بشعره منذ الف سنة ان يقوم اليوم من المعاصرين من ينظر في كلامه نظراً أوسع وأتم مما نظر فيه الأسلاف . وحبذا لو حذا الباحثون في تحليل حياة عظمائنا في الأدب والعلم هذه الطريقة التي لا يرضي الدارسين بعد اليوم غيرها .

م . ك

تأثيرات سياحة

« تأليف السيد موسى كريم طبعت في سان باولو في براز يل ص ٥٩٢ »

هذا وصف رحلة ارتحلها وطنينا وصديقنا المؤلف من ٢٣ حزيران عام ١٩٢٧ الى ١ كانون الثاني سنة ١٩٢٨ وصف فيها ما شاهده في البورتقال واسبانيا وفرنسا وسورية ولبنان وفلسطين ومصر وصفاً شفافاً جميلاً استعمل فيه الاستاذ حرية الفكر وبعد النظر ورمى الى أغراض وطنية شريفة ومنازع قومية يحمد عليها و يستغرب نقيضها من رجل باحث يعرف الغرب معرفة جيدة و يعرف الاثر الناتج من نزع التعصبات المذهبية والجنسية . وقد أهدى كتابه الى أم المدن المقدسة دمشق والى النهضة الوطنية في الشرق الخ فدل على تعلقه ببلاده وسروره فيها بعد غيبته عنها سنين طويلة بما شاهده من نهضتها الحديثة . وقد ذكر احاديث وقعت له مع رجالات الشام ومصر تكشف القناع عن محيا حقائق العصر وربما لا يرضى بعضهم عما أفضوا به اليه لان منهم من يعيش في تقية ممقوتة بل لا يعيش بغيرها . والكتاب يلذك باسلوبه تقرأوه كل الطبقات فتستفيد منه فوائد ممتعة وقد زينه بصور المشهورين من رجال العلم والسياسة في هذا الشرق القريب و برسوم معاهد أخرى في البلاد التي ساح فيها . فاستحق بعمله ثناء الآداب وخلد له بما كتب ذكراً عطراً أثبت فيه كيف يكون اثر التربية العالية في النفوس فينزع صاحبها يده من التقاليد الممقوتة و ينظر في العالم الى الحقائق المجردة . م . ك

الجاحظ

« بقلم الاستاذ خليل مردم بك »

أنشأ الاستاذ خليل مردم بك رسالة وجيزة في الجاحظ تكلم فيها على شيء من حياة الجاحظ وصفته ومذهبه وأشار الى سعة علمه وجلالة قدره ولمح الى دعابته وفكاهته وحسن محاضرته ، وذكر كتبه المطبوعة و كتبه المخطوطة ، و بحث عن اتهامه في دينه ، وروى طائفة من شعره . وختم رسالته بالكلام على زمن الجاحظ وعلى عوامل نبوغه وعلى مواهبه وقيمة أدبه وأثره وأضاف الى هذا كله طائفة من منتخب كلام الجاحظ .

من خصائص البحث في عصرنا هذا ان الكاتب اذا تكلم على شاعر او على أديب او على عصر من عصورنا الأدبية لزمه ان يصوّر لنا نواحي هذا الشاعر او هذا الأديب او هذا العصر تصويراً متكاملاً حتى اذا وقع نظرنا على الصورة أخذ النظر جملة هذه النواحي ومن خصائص البحث ان يطبع الباحث هذه الصورة بطابعه الخاص واعني بالطابع الخاص ان تظهر على بحثه آثار فكره في الانفراد بالرأي والاستقلال بالتمييز .

ومن يمن الطالع ان ادباءنا شعروا بهذا كله فنشطوا اليه فكان تجويدهم العمل على قدر مواهبهم واستعدادهم .

والاستاذ خليل مردم بك حاول في رسالته ان تظهر على كلامه آثار البحث المناسب لروح هذا العصر وليس بضائرنا ونحن في بدء النهضة الأدبية ان نقصر بعض التقصير في مباحثنا الادبية وانما الشأن ان نشعر بخصائص البحث المطابق لاوضاع هذا العصر وقد شعرنا بذلك وهذا شيء ليس بقليل .

نعم ليس بضائر الاستاذ خليل مردم بك ان تفوته نواحٍ كثيرة من نواحي الجاحظ فان الكلام على الجاحظ يستغرق كتاباً مطولاً فضلاً عن رسالة وجيزة .

فليس بضائر الاستاذ ان يفوته الكلام على اساليب الجاحظ في تحقيقه العلمي فالجاحظ عالم من العلماء سواء أكان علمه موافقاً لحقائق علم هذا العصر ام كان غير موافق فهو لا يختلف في تحقيقه العلمي عن اكابر علماء هذا العصر وفي مقدمتهم « باستور » فكانت أساليبه في التجريب والاختبار والتدقيق مطابقة لاساليبهم

وليس بضائره ان يفوته الكلام على طبائع تهكم الجاحظ فقد كان الجاحظ يتعمد في بعض الاحايين النادرة فكأنه كان يتعمد الإضحاك .

وليس بضائره ان يفوته الاستقصاء في الكلام على أساليب الجاحظ في النقد الأدبي وعلى مذاهبه الأدبية وعلى خصائص لغته الأدبية والعلمية وعلى طبيعة الانقلاب الأدبي والانقلاب الفكري في عصره وعلى طبائع فلسفته التي جمعت بين معرفة السماع وعلم التجربة وطبائع مذهبه الديني فقد أشرك الجاحظ بين علم الكتاب والسنة وبين وجدان الحاسة وإحساس الغريزة .

فقد فات الاستاذ خليل مردم بك الكلام على هذا كله فكأنه وضع رسالته لتلاميذه حتى يمهّد لهم السبيل الى الاستئناس بالدراسة الأدبية ·

شفيق جبري

عضو المجمع العلمي العربي

تاريخ اللغات السامية

« تأليف الدكتور اسرائيل ولفنسون مدرس اللغات السامية بالجامعة المصرية »

« وهو يقع في ٢٥٠ صفحة »

للجنة التأليف والترجمة والنشر المصرية فضل كبير في سبيل النهضة العلمية العربية بما تنشره من حين الى آخر من نفائس مطبوعاتها العلمية · وتاريخ اللغات السامية من أنفس ما اتحفت به العالم العربي · يحتوي على تاريخ موجز للغات السامية وهو الوحيد من نوعه · فقد سد المؤلف بكتابه هذا ثلمة عظيمة في نهضة اللغة العربية الحديثة فله الفضل العظيم ، اذ انه اول من وضع كتاباً بهذا الموضوع باللغة العربية · وقد الحق المؤلف في نهاية كتابه تعليقات العلامة الاستاذ ليتمان على هذا الكتاب ليتيسر للقارئ الاستفادة منها وهذه الملاحظات ثمينة جداً لمكانة هذا العالم في عالم المشرقيات · فقد نبه المؤلف الى مسائل عديدة ذات شأن · وقد لفت نظري بعض ملاحظات ربما لم ينتبه اليها العلامة ليتمان فوجدت ان انبه المؤلف اليها ليتلافاها في طبعة تالية · واعتمدت في تصحيح بعض الاعلام على ما اصطلحنا عليه نحن معشر العرب في كتابتها اوكما وردت في نسخة الكتاب المقدس العربية طبعة نيورك: وجاء في (ص٣) قال آل عيلم وعيلم وصوابه آل عيلام وعيلام (عز٢ : ٣١ ونح ٧ : ٣٤) · وجاء في صفحة ٢٠ قال سمارية صوابه السامرة (امل ١٦ : ٢٤) · وصفحة ٤٢ قال الحثية وكررها غير مرة والاظهر ان تكتب الحثية · وصفحة ٥٠ قال عش عصفور (كن) وصوابه وكن او وكنة · وصفحة ٥٦ قال الفريزي وصوابه الفرزي اوالفَرِزيون (تك ١٣ : ٧ و٣٤ : ٣٠) · وصفحة ٥٦ قال جبال وصوابه جبيل · وصفحة ٥٧ قال (ارواد) بنواحي اسكندرونة وصوابه بين طرابلس

واللاذقية . وصفحة ٥٧ قال عشترت والاظهر في كتابتها عشتاروت . وصفحة ٥٨ قال اتباعل صوابه اتبعل (امل ١٦ : ٣١) . وفيها قال احاب صوابه اخاب (امل ١٦ : ٢٩) وصفحة ٦٣ قال نقش ويريد بها الكتابة المزبورة على الحجر والاصح ان يقال رقيم فهي اوفى بالمعنى . وصفحة ٦٧ قال (ان كتابة يحو ملك ترجع الى القرن الخامس (ق ٠ م) . وهي من اقدم الكتابات الفينيقية التي اكتشفت في ارض كنعان) مع ان كتابة احيرام التي اكتشفت في جبيل في سنة ١٩٢٤ هي اقدم عهداً ويرجع تاريخها الى القرن الثالث عشر (ق ٠ م) . وصفحة ٨٤ (كتابة عبرية على ورق نقدي) مع ان هذا النوع من النقد غير معروف في ذاك العصر . وصفحة ٩٠ اسرة المكابيم وصوابه أسرة المكابيين . وصفحة ١٠٠ صادي ترجمتها شبكة الصيد وصوابه حربة الصيد . وصفحة ١١٦ بيت رحوب على ضفاف اليرموك والصواب هي جهات مرجعيون وبانياس . وصفحة ١٣٠ أهمل اسم الشهر في السطر ٢١ . وصفحة ١٤٥ قال (مدينة اودسا) والصواب ادسا كي لا يحصل التباس بينها وبين اودسا من سواحل البحر الاسود . وصفحة ١٥٩ قال (الملوله) والصواب معلولا ثم ان هنالك قريتين اخريين تتكلمان بالسريانية الى اليوم غير قرية معلوله وهما جبعدين وبخعة . وصفحة ١٧٨ قال سنة ١٠٦ وصوابه ١٠٥ . وصفحة ٢٠٦ قوله ان القصائد والأساليب الشعرية لم توضع على الورق بالمداد الا في نهاية القرن الاول وهذا قول مبالغ فيه لان المعروف ان معاوية لما جلب من اليمن عبيد بن شرية الجرهمي وسأله عن الاخبار المتقدمة وملوك العرب والعجم امر معاوية ان يدوّن ذلك فلو لم يكن التدوين موجوداً كيف كان يقول له ذلك . وورد في الصفحة ٢٢٣ قوله في بلاد الشام حيث لا ملك عظيم ولا معاهد منتجة بعد ان انقضى العصر الاموي . فهذا القول ينفيه الواقع لان تاريخ انشاء المدارس في بلاد الشام يرجع الى أواخر النصف الاول من القرن الخامس . ايام انشأ بدمشق رشأ بن نظيف بن ماشاء الله ابو الحسن الدمشقي سنة ٤٤٤ مدرسته المعروفة بالرشائية اتخذها داراً للقرآن وكان الحسن بن عمار حاكم طرابلس للفاطميين والمتغلب عليها أقام في طرابلس دار حكمة اوشبه مدرسة جامعة على نحو دار الحكمة التي انشأها الحاكم بامر الله في مصر سنة ٤٠٠ وفضلاً عن مئات المدارس التي أنشئت فيما بعد . وورد في الصفحة ٢٢٤ قوله ان كلمات افرنجية وخاصة افرنسية